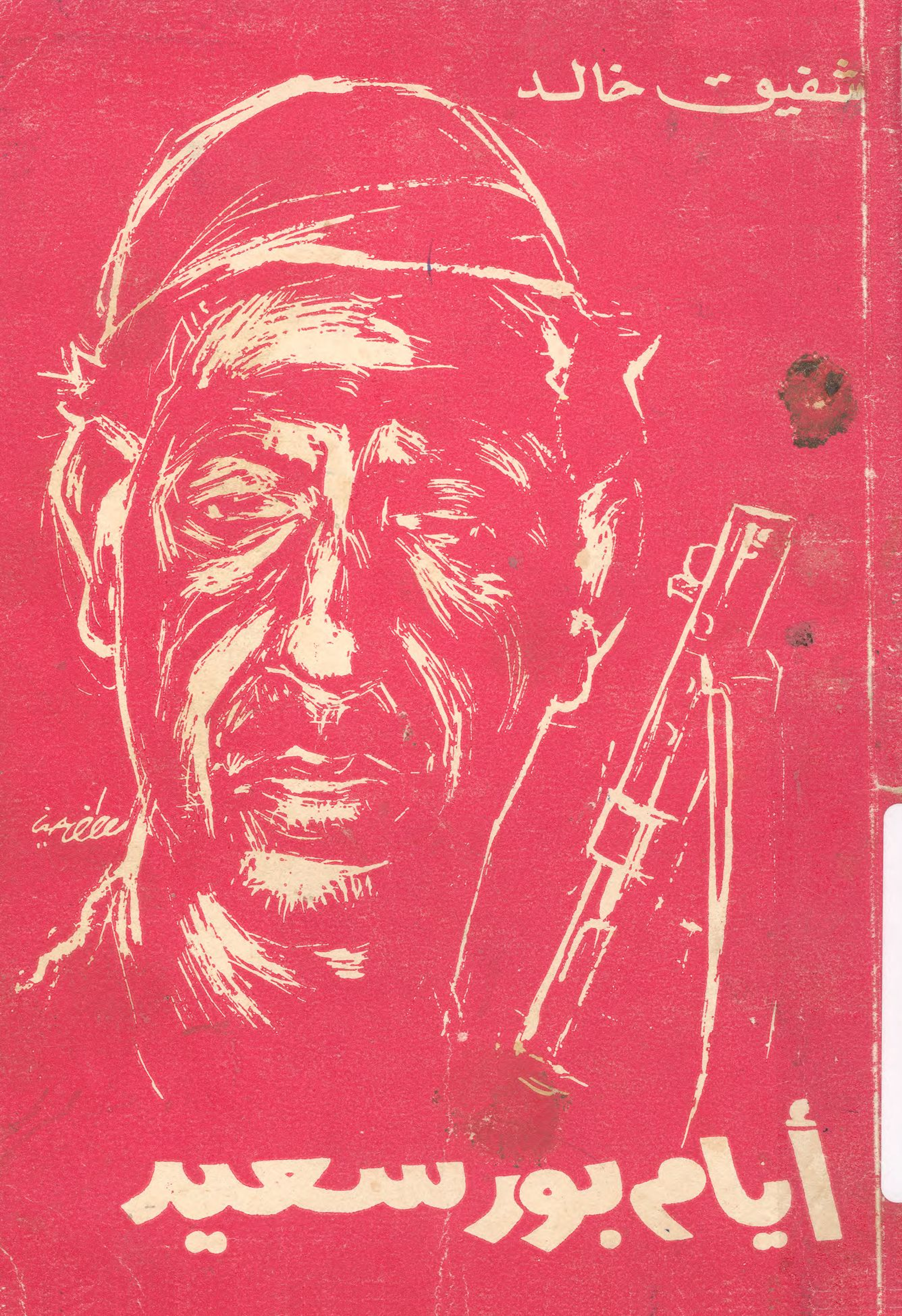

شفيق خالد
أيام بور سعيد

أيام بورسعيد

بقلم

شفيق خالد

مارس سنة ١٩٥٧

إلى الذين استشهدوا ..

والذين عاشوا لحظات خالدة هي المعركة ..

في بور سعيد ...

[illegible]

شعب بورسعيد

للشاعر : مصطفى بهجت بدوى

طائرات الاعــــداء ملء ســـــمائه
غــير أن الأعـــداء تحت حـذائه !

طائرات كم تقـــذف النـــار لـكن
تصــقل النــــار مستثار بنـــائه !

وهو يجـرى . . نعم ، ولـكن لينقض
على « الهـــابطين » فى بطحــــائه !

انهـــا ارضــه . . . له . . . لبنيه
انهـــا « بور ســـعيد » رمز بقائه

هى مضيافة الورى ... ثغرها الحلو
ابتسام ... يهـدي الى أصـدقائه !

ثغــرها الحــــلو مســــتقل وحر
ان أحـلى مافيــه صـــــدق ابائه !

انهـــا ارضـــــه تهـــدد بالغزو
وبالعار . . . لا . . . وحق دمائه !

* * *

انهــا أرضــــه وفي يده المـــوت
سـلاحا يقضى على أعـــدائه !

ايه يا شعب « بور سعيد » سـلاما
يا حمى النيـــل ٠٠٠ يا اعز لوائه

انت ادبت « مجـــرم الحرب » فاهتز
وحطمــت مـدعى كبـــريائه

انت لم تدرس القتـــال ولـكن
حين قاتلت كنت فخـــر بلائه !

انت قاومت ـ باسـلا ـ عصبة الشر
واســطوله وهـــول اعتـــدائه

معجزات صنعت فى كل بيت ٠٠٠
وطريق ٠٠ من قبـــله وورائه !

البطـــولات سجلت عدد الشعب
جميعـــا ٠٠٠ رجـاله ونسـائه !

مقدمة

بقلم الأستاذ محمد عبد القادر حمزة

سيظل الكفاح المصرى للاستعمار البريطانى الصورة الخالدة لحيوية الشعب المصرى ولقدرته دائما على أن يسحق محاولات الطامعين فيه للاستبداد به وللسيطرة على أقداره ، ليخرج بعد ذلك من كل محنة ومن كل تجربة ومقوماته الجوهرية طاهرة من رجس الاستعمار . فهو لم يفن أبدا فى أية محاوله للنيل من هذه المقومات بادماجه فى الشعوب التى سادته وقتا من الأوقات

لقد استطاع الشعب المصرى أن يصون ذاتيته حتى بعد أن ظل الأتراك والمماليك يحكمونه ثلاثة قرون ، ثم جاء الإستعمار الثقافى الفرنسى وظن أن هذه الناحية الروحية ستكون عاملا مساعدا لفرنسا على أن تكون لها اليد العليا فى مستقبل مصر . وساعد على ذلك أن محمد على ومن تبعوه من أولاده وأحفاده كانوا يفضلون أن تربط مصر بعجلة السياسة الفرنسية فى جميع مظاهرها وأشكالها ، ولكن مصر خلصت من هذه المحاولة وبدت شخصيتها المستقلة وانتصرت مقوماتها الخاصة على هذا الادماج الذى كانت فرنسا ترجو أن يتم عن طريق سيطرتها الثقافية على ثقافتنا نتيجة لأعمال حكامنا السابقين .

ثم جاء الانجليز فحاولوا أن يحلوا محل الفرنسيين فى تجربتهم واستعانوا باستعمارهم وبقوتهم العسكرية مع ثقافتهم ولغتهم، ودخلنا فى محنة جديدة متعددة النواحى والاتجاهات ، محنة ظلت

تحاول معنا ما وسعها الجهد نحو ثلاثة أرباع قرن ، خرجت مصر منها وهى أشد ما تكون صيانة لقوميتها ولاستقلالها ولثقافتها الخاصة • بل لعل تجربة الانجليز معنا ساعدتنا على أن نزداد استمساكا بمقومات حياتنا الخاصة وبجوهر ثقافتنا المصرية الخالصة •

ولم يخرج الانجليز مختارين ، وانما خرجوا مكرهين • خرجوا وهم يدركون أن مصر الثورة ستجتث كل أثر لنفوذهم فى مصر من جذوره ، لأنها تدرك أن الثقافة والاقتصاد الأجنبيين هما العصب وهما الاستهلال لكل محاولة استعمارية •

خرجوا وهم يرون أن كل هذا البناء الشامخ الذى أقاموه منذ سنة ١٨٧٩ قد تهدم • ونحن حين نذكر سنة ١٨٧٩ ـ أى قبل الاحتلال البريطاني بست سنوات ـ فانما نقصد أن احتلالهم بدأ يوم أصبحت لهم الكلمة العليا فى الاشراف المالى والاقتصادى على البلاد بعد أن كبلها اسماعيل بديونه •

خرجوا وهم يظنون أنه لم يبق لهم فى مصر غير الشركة العالمية لقناة السويس المنحلة ، فلما أممها الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ طار صوابهم وجن جنونهم وفكروا فى أن يؤدبوا مصر لعلهم يعيدون ولو شيئا ممن هذا النفوذ الزائل ، لا فى مصر وحدها ولكن فى الشرق العربى كله فكانت آخر تجربة لنا مع الاستعمار البريطانى ، وكان هذا العدوان الثلاثى الذى بدأ فى اكتوبر ١٩٥٦ بالنسبة لاسرائيل وفى أول نوفمبر بالنسبة لبريطانيا وفرنسا • وكانت هاتان الدولتان تظنان أن هذه المؤامرة الثلاثية ستقضى على مصر وستعود بها الى حظيرة الاستعمار ، أو على الأقل الى دائرة النفوذ البريطانى فى الشرق الأوسط •

واذا كانت أغلب دول العالم المحبة للسلام قد وقفت بجانبنا تندد بالاستعمار وتزلزل قواعده ، فان من حقنا أن نسجل لأنفسنا أن روح المصرى التى لا تقاوم هى التى قهرت الانجليز والفرنسيين وهى التى أدركوا معها أنه لابقاء لهم لافى بورسعيد ولا فى غيرها •

كانوا يظنون أن مجرد هجومهم على مصر سيمكن من كانوا يتوهمون أنهم لا يزالون على ولاء لسياسة الضعف والتخاذل من العمل علانية ، ومن بث روح الفرقة فى الداخل • ولكن مصر وقفت كلها صفا واحدا وايمانا واحدا بوجوب طرد المعتدين ، فكان هذا النصر الذى حققناه على أقصر محاولة استعمارية ضد مصر •

ولا شك فى أن هذه الفترة الخالدة من حياتنا ، وهى التى انقضت بين ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ وبين اليوم الذى يتم فيه انسحاب قوات اسرائيل من الأراضى المصرية ومن قطاع غزة ، فترة يجب أن تسجل وأن تظل ماثلة أمام أعين كل مصرى وكل عربى ، لأنها النور الذى نلتمس منه القوة على مصارعة المحاولات الاستعمارية التى لا تزال تبذل لتقليل أثر النصر الذى أحرزناه ، ولمنع مصر من أن تقود الشرق العربى فى سبيل استقلالى متحرر لا تتلقى وحيه الا من ضمير أبنائه ، ولا يعرف الا مصلحة الشعوب العربية ، فهى التى تكيف سياسة المستقبل للعرب •

وهذا الكتاب تخليد حى لهذه الأيام ، لأن زميلى الأستاذ شفيق خالد عاشها مع ابطالها فهو من اقدر من يستطيعون التحدث عنها ورواية امجادها •



••• لم تكن المقاومة السرية فى بور سعيد أقل تنظيما من الجيوش الحديثة ••• لقد صدرت ألوف المنشورات المطبوعة ترد على افتراءات المعتدين ، وتجمع شمل المكافحين ••• انها أحرف من نور ••• صنعت حرية مصر

بور سعيد ..
نقطة بدء وتحول في التاريخ
بقلم الأستاذ : محمد عوده

بور سعيد هي ملحمة هذا الجيل ..
وبور سعيد هي معركة تاريخنا الحديث ..
وبور سعيد أيضا هي نقطة بدء وتحول فى التاريخ ..

* * *

ان مبدأ الاستعمار هو أن لايحصل أبدا بالقوة على مايحصل عليه بالسياسة .. ولجوءه الى العدوان فى بور سعيد .. كان يعني يأسه من أن يخدعنا أو يرشونا أو يفرق وحدتنا .. وكان يعنى أننا قوة لا يستطيع أن يفلها سوى اجتماع الجيوش والاساطيل والطيارات ، لدول ثلاث مجتمعة ..

ولقد كانت بور سعيد امتحانا لقوتنا المعنوية والمادية .. وامتحانا لجبهتنا الداخلية وجبهتنا الخارجية ، أى تأييد الشعوب لنا ، وكان صمودنا ثم انتصارنا ، ووقوف الصيادين والفلاحين والجنود والمثقفين والضباط الصغار بصدورهم أمام الدبابات والنفاثات والبوارج والمظلات .. يعنى أن حريتنا أصبحت أعز علينا حتي من حياتنا .. وليس هناك دلالة أعمق على نضوج وأهلية الشعوب للبقاء والخلود ..

ولقد انتصرت مصر فى بور سعيد ..

وانتصرت القومية العربية فى بور سعيد ..

وانتصرت أيضا كل الشعوب الصغيرة ، فقد تأكد أن

العدوان على أى شعب صغير لن يفلح لانه سيقف وسيصمد ، ولان قوى السلام فى العالم كله ستقف الى جانبه وستستطيع أن توقف العدوان وان تحبطه ..»

وهذا بدء مرحلة فى التاريخ .. وربما كان بدء المدنيــــة الانسانية ..

وتسجيل معركة بور سعيد بأقلام الذين عاشـــوها ، هو واجب وطنى .. لانه استكمال لتاريخ مصر ولحياة كل مصرى ومصرية .. ولقد عاش الاستاذ شـفيق خالد المعركة بقلمـه وقلبه كصــحفى وكمصرى .. وكمجاهــد ، ورأى معركة بور سعيد .. فى مكانها التاريخى .. كحلقة من معركتنا الطويلة المتصلة فى سبيل الحرية والبقاء .. وقمة لهذا الــكفاح .. وسجلها فى كتاب ، يجب أن يوضـــع فى كل بيت ليتناقله الأجـداد والأحفاد ويعيشوا كما عاش المؤلف معركة وملحمة بور سعيد ..

الصحفي الفدائي

بقلم الأستاذ عبد اللطيف واكد

يظن الكثيرون خطأ ، أن الفدائية مقصورة على كل من يحمل سلاحا ، ويزج بنفسه فى معركة قائمة من أجل الوطن ، فى حين أن الفدائية ، أوسع من ذلك معنى ، وما حمل السلاح الا أحد ضروبها المتعددة ..

فالفدائى .. هو ذلك المواطن الذى ينكر ذاته ، ويذكر المجموع ، ويعرض نفسه لخطورة محققة ــ قد تكون وقد لاتكون ــ فى سبيل أداء واجب نبيل ، لن يحقق منه ربحا فرديا .. بل ليجنى الثمرة مواطنوه .. !

فالجندى بسلاحه .. والطبيب بمبضعه .. والصحفى بقلمه . كل هؤلاء يمارسون عملا فدائيا ، اذا ما أظلتهم سماء المعركة .. فكل منهم يبيع دمه ، ليحصل به للجميع على ثمرة واحدة ألا وهى النصر ..

والأستاذ محمد شفيق خالد . فدائى من الطراز الأول .. فقد كان أول صحفى تطوع للذهاب الى الصفوف الأولى .. الى خط النار .. والمعركة دائرة الرحى ، وآخر من انسحب من الصحفيين من تلك المناطق المحفوفة بالمخاطر ..

زامل الضابط فى خيمته ، والجندى فى خندقه .. وكان يحمل سلاحا ليس أقل خطرا من القنبلة ، التى تزرع بتفجرها الموت فى

ساحة العدو .. أو المدفع الرشاش الذى يوزع المنون فى كؤوس مريرة ... كان يحمل القلم !..

وكان يبذل أقصى الجهود ، ويتعرض لخطر محقق ، فى سبيل الحصول على خبر صادق ، وفى سبيل ابلاغ هذا الخبر لجريدته التى انطلق للميدان مراسلا لها .. كان يفعل ذلك كله ، تحت وابل القنابل ، وصفير الرصاص ، وأزيز الطائرات .. وأتربة الخنادق ..

كان يسعى فى الظلام متسللا بين الأسلاك الشائكة ، شأنه فى ذلك شأن الجندى ، الذى يزحف ليحطم معقلا من معاقل العدو ، أما هو فكان يزحف لكى يشهد بنفسه حقيقة واقعة من شأن اذاعتها أن تقوى معنوية مواطنيه .. يريد أن يشهدها بعينى رأسه ، فله فى كل شىء نظرة ورأى.. وحتى لا يتهم فى المستقبل اذا أبقت عليه الأحداث .. بأنه كان يتصيد أخباره من أفواه الناس ..

والأستاذ شفيق خالد دأب على هذا النهج ، منذ اشتغاله بالصحافة .. فهو محقق صحفى من الطراز الأول ، ينفذ الى الحقائق المستورة ، بطريقته الخاصة ، ثم يبلورها ليقدمها للقارىء شفافة ناصعة ، حتى يستوعبها الخاص والعام ، فى سهولة ويسر .. !

وكتابه عن بور سعيد .. هو مجموعة من الحقائق يرويها شاهد عيان ، عاش فى المعركة .. وعاش للمعركة .. وجاء يروى فى صدق ويتحدث بأسرار المعركة .. !!

دور الشرقية فى المعركة ..

بقلم الأستاذ عبد العزيز السيد
مدير التربية والتعليم بالشرقية .

من الشرقية كتب الأستاذ عبد العزيز يقول :

طلب الى الاخ السيد شفيق خالد أن أكتب عن الشرقية وأهلها ، شيبا وشبانا ودورهم فى المعركة ، ولما فى نفسى لسيادته من تقدير وإعجاب ، فانى لا يسعنى الا أن أستجيب وبخاصة لانى عشت هذه المعركة فى الشرقية وامتزجت بأهلها فى الروح والفكر والعاطفة والوجدان ، واقتسمنا الجهد والعرق ، وشعر كل منا أنه لبنة فى بنيان هذا الوطن المفدى له ما له ، وعليه ما على أصدق مواطن فى أرقى الامم وأحرصها على حريتها واستقلالها ، وكيان أفرادها ومستقبل بنيها ..

أستطيع أن أعود بالذاكرة الى الماضى القريب خلال أكتوبر والفترة العصيبة فى نوفمبر ، فأقرر أن كل فرد فى الشرقية خاصة ومصر والبلاد العربية عامة ، قد أدى الدور الذى يتطلبه منه الوطن والدين والحرية والشعور بالواجب والحياة الحرة الابية ، والدفاع عن الكيان الكريم الذى بنيناه وأصبحنا قوة يعتز بها الشرق والغرب ، بعد أن كنا نؤمر فنأتمر ، ونسير فى ركب الامم الغربية المزودة بالقوة والسلطان ..

كانت المعركة مثلا طيبا لشعب كريم أصر على الحرص على كيانه ، فاجتمعت كلمة الافراد من كل لون ومذهب على أن

يجمعوا كلمتهم ويحزموا أمرهم ويدرأوا عن وطنهم دنس كل مستعمر ورجس كل غاصب .. ولا يدهشنك ما قاموا به من مجهود ، اذ سرعان ما حفرت الخنادق وأقيمت المتاريس لا فى المدن فحسب ، بل فى القرى النائية .. واستعد الكل بالخبز الجاف والجبن القديم والجرار والصفائح المليئة بالمياه .. درءا لخطر الحريق وتقدم الرجال والنساء والشبان والشابات يحملون مدافعهم التى دربوا عليها أحسن تدريب للدفاع عن بلادهم وأمهم الرءوم مصر ..

وقام شبان المدارس وشاباتها بقيادة معلميهم ومعلماتهم بالتدريب على حمل السلاح وحفر الخنادق وأعمال الاسعاف والتمريض والانقاذ واصلاح الطرق ونقل ما تخلف عن المعركة من حطام في المبانى أو وسائل النقل ثم ربط المدن والقرى بعضها ببعض ، ومحاربة الشائعات والسهر على الاسعار والاشراف على التموين ونشر الطمأنينة والاخبار الصادقة بين المواطنين وتوزيع الصحف التى اشتركت كل مدرسة فى اعدادها فى محيطها ، وعقد الاجتماعات الدورية كلما دعا الداعى للتشاور والاتفاق على الخطوات التالية مما جعل منها برلمانات قروية لا نظير لها فى التاريخ ، فيتبلور الفكر الوطنى عن أسمى ما فى هذا الشعب العريق الخالد من صفات ، واتيحت الفرصة لبنيه وبناته أن يحيوا حياة المدافعين عن أوطانهم فأطاعوا الله وأطاعوا الرسول ، وعملوا ما يطلب اليهم من دفاع وتضحيات فى غير من ولا فخر ، وكان انكار الذات والسهر على الصالح العام طابعهم ، حتى شهد بذلك كل من شرف الشرقية بزيارته ، وكثيرا ما هم فكان الترح منهم يعود والبشر يعلو جبينه والسرور يملأ قلبه ان وجد شعبا شرقاويا قويا مليئا بالحرص على كيانه والدفاع عنه ..

طاف أبناؤنا فى ميدان الخدمة جميعا فاستقبلوا المهاجرين .

وخففوا عنهم ونقلوا متاعهم واحترموا ضيافتهم وجمعوا لهم من جهودهم وشعورهم ما خفف عنهم الكثير ، وكانوا مصممين على أن ينزلوهم منزلة الضيوف ، بل سار كثير منهم فى هـذا الشوط أبعد من ذلك ، فاعتبروهم شركاء لهم فى منازلهم ، وقراهم ومسحوا بأيديهم كل ما أصيبوا به فى ديارهم ، من بطش الغاصب واعتداء المعتدى ..

وما هي الا فترة حتى شعر اهل القنال الامجاد وأهل الشرقية أنهماخوة فى الجهاد والله والوطن ، وكان سكان القنال يتخذون مكانهم فى الصف ويتعاونون فى الدفاع ، ويشاركون فى العمل لرفعة مصرنا العزيزة واعلاء كلمتها ..

وكانت الزيارات من الموظفين والاهالى تترى على معسكراتهم فكنت لا تعرف من الضيف ومن المضيف ، وبذلك أسهم شباب الشرقية في الامداد والتغـذية والترفيه والعمل جنبا لجنب وجمعوا من الغذاء والكساء والهدايا والفواكه والسجاير وغيرها ما كان له أمجد الاثر فى نفوس الجميع ..

بذلك وبغيره أتيحت الفرصة لشبابنا أن يدربوا لأول مرة فيما أعلم فى تاريخ التربيـة والتعليم على أن يحيوا فى ميـدان المعركة مدافعين عن أنفسهم بأنفسهم حتى بدأ جيشنا وكأنه ثلاثة وعشرون مليونا كل منهم مؤمن بحقه في الحيـاة حريص على الدفاع عن بلدهواخوته فى الوطن والعروبة ، وبذلكصارت الاقطار العربية لأول مرة فى تاريخها الحافل الطويل أمة واحدة امتلأت بالغيرة وفارت بالوطنية وتعاهدت على الوقوف صفا واحدا تدافع عن نفسها فى عزة واباء مما أثار اعجاب العالم ..

ومما يثلج الصدور أن كلا منهم قام بما قام به لا عن مجاملة وانما عن ايمان صـادق ويقين عميق بأنه يدافع عن نفسه وعرضة وماله ، مما جعل من هذه الفترة مدرسـة زاخرة

بالتضحية والبذل والفداء ، وأعادنا الى أيام الاسلام الاولى ، حين اعتبر كل منهم نفسه جنديا من جنود الله والوطن ..

ثم عادوا الى مدارسهم وهم الذين حملوا السلاح وتركوا الراحة وركنوا للعمل وعبأوا زجاجات مولوتوف ونقلوا بقايا العربات وأصلحوا الطرق وأخذوا بيد المنكوبين ـ أقول عادوا بعد ذلك لمدارسهم وكلهم أمل وكلهم رجاء وكلهم حرص على الواجب ، وكأن المعركة لم تكن الا لتنبه الكثيرين منهم أن يجدد نشاطه ويبحث عن كوامن القوة النفسية والروحية والوطنية يبحثون في أمجاد هذا الوطن العزيز وينشرون دعوته ويجددون العهد أن يثبتوا بجانب مواطنيهم كلما جد الجد وادلهمت الامور

ذكرني ذلك كله بما كان يدور بين جدران مدارسنا في الماضي من اضراب فارغ وتبطل غير مثمر ، وقلت في نفسي حقيقة أنه مولد شعب جديد عاش في تاريخ حافل وحاضر موفق ، وسيعمل لمستقبل سعيد باسم ان شاء الله ..

ألا بارك الله شبابنا وشيبنا وجعل التوفيق حليفنا وأيد قادتنا وأخذ بأيديهم الى الهداية والرفعة والمتعة والنصر ..

والله أكبر والعزة لمصر ..

صراع قديم

ان الصراع الذى نشب بيننا وبين الاستعمار لم يكن وليد أحداث اليوم ولا الامس القريب .. بل هو صراع قديم منذ أن وطئت أقدام الغزاة أرض بلادنا .. فى عهد العثمانيين .. وعهد الفرنسيين .. والعهود السوداء التى احتل فيهاالانجليز أرضنا عام ١٨٨٢ ..

ولابراز الحقيقة كاملة ..من أجل التاريخ .. يجب أن نرجع قليلا الى الوراء الى قصة المعارك التى خضناها لنحرر أرضنا وأن نرتبط بهذه الحوادث لنستخلص قصة العدوان على بورسعيد ..
والعدوان على بور سعيد لم يكن موجها الى مصر وحدها ..

ان الحقائق كلها .. صرخات ايدن فى لندن .. والجنازة التى أقامها موليه فى باريس .. والمناورات السياسية التى صنعها بمهارة أيزنهاور ودالاس فى نيويورك .. كل هذا يؤكد أن المقصود بالعدوان هو الأمة العربية كلها .. من الخليج الفارسى حتى الشاطىء الأفريقى للاطلنطى .. وهدم ذلك الصرح الشامخ الذى اكتمل فى باندونج وأصبح خطرا يهدد المصالح الاستعمارية فى الشرق الأوسط ..

لقد كافحنا الاستعمار طويلا .. كافحناه منذ دنست أرضنا الطاهرة اقدام الترك حين جاء السلطان سليم الاول بشراذمه ودراويشه وجعل من بلادنا تكية لهم ولحريمهم . وبعد الاتراك

داعبت فرنسا أحلامها القديمة وحاولت أن تسيطر على الشرق باحتلالها مصر ولكن حملتها باءت بالفشـــل وعادت قواتها تجر أذيال الخيبة •• والعار ••

ثم •• جاء الانجليز : ومنذ ذلك اليوم المشئوم الذى نكبنا بهم •• فى عام ١٨٨٢ ونحن نكافحهم بقوة الحق الذى فى أيدينا ولقــد كافحهم أجدادنا •• واســتشهد على أيديهم آباؤنا •• وناضلناهم بقوة •• وعنف •• وبلا هوادة ••

لقد كان كفاحنا للاســتعمار الانجليزى ـ ولا يزال ـ هــو الدفعة الحرة الأبية التى تجعلنا نستبسل فى الكفاح لتحرير أرضنا •• وكانت مذابح دنشواى •• وكانت مشانق أقاموها فى كل مكان ••و كان الفساد الذى استشرى فى جميــع مرافق حياتنا •• وبالرغم من كل ألوان الاضطهاد التى لقيها الوطنيون وهم يصارعون الاستعمار البريطانى فان الحركة القوميــة رغم مؤامرات الرجعية والاستعمار كانت تسير الى الأمام ••

تطور الحركة

وكان تطورا جديدا عام ١٩٥١ يوم خرج الشــعب كله •• واجه الانجليز •• يعلن الكراهية والحقد ويصبها على رؤوسهم فى القنال ••

وتحالفت الرجعية والفساد الذى كان يعم البلاد على هــذه الدفعة الوطنية •• فأحرقت القـــاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ وانتكست الحركة الوطنية مؤقتا ولكنها عادت تسير فى طريق آخر ••

وانتهت الحركة الوطنية الى ثورة الجيش فى ٢٣ يوليو •• وكان هذا ايذانا بصفحة جديدة من صفحات الكفاح ••

طرد الملك ٠٠ وخلصت البلاد لأهلها من ابناء الشعب والفلاحين ٠٠

وابتدأنا نحارب الفقر الذى ظل ينوء تحت عبئه فلاحونا وعمالنا وموظفونا وجميع أفراد الطبقة التى أنتمي اليها أنا وانت والتى تكون فى مجموعها عشرين مليونا من أبناء هذا الشعب ٠٠

وكان لزاما على الحكومة أن تتخلص من كل مظاهر الاستعمار فبعد أن وطدت أقدامها داخليا اتجهت الى قوات الاحتلال التى كانت ترابط فى منطقة القنال ٠٠ وبدأ كفاح جديد ٠٠ كفاح خيف انزل الرعب ضيفا ثقيلا مفزعا بين قوات الاحتلال وابتدأت تحس أن وجودها خطر عليها ٠٠

وابتدأت مفاوضات حقيقية بين ممثلى الشعب وبين قوات الاحتلال ، انتهت بانتصار القومية العربية ٠٠ وخرج الانجليز من أرض مصر عام ١٩٥٤ ٠٠ خرجوا وهم يضمرون فى نفوسهم أمرا ٠٠ كانوا يتوقعون أن معنى خروجهم هو ربطنا بعجلتهم باتفاقية ١٩٥٤

وبمجرد خروجهم ابتدأنا نتجه بكل قوانا الى التعمير ٠٠ تعمير خرائب اقتصادنا لرفع مستوى معيشتنا ٠٠

وكان لزاما على الحكومة أن تبنى السدالعالى ٠٠ ذلك الصرح الشامخ فى اقتصادنا ٠٠ واعترضتنا مؤامرات الاستعمار ٠

اتهم دلاس بعد أن وافق على تمويل السد العالى ٠٠ اقتصادنا بأنه غير سليم ٠

وكان لابد من ايجاد مورد مالى نبنى من حصيلته السد ٠٠ ونقضى به على كل مؤامرات الاستعمار ٠٠ والطريق أمامنا ٠٠

وتطلعت القيادة الرشيدة • فوجدت أن ذلك المورد بين أيدينا، وفى أرضنا •• انه قناتنا التي حفرت بدمائنا ••

واستشهد على ضفتيها أهلنا وذوونا •

والتى كانت حصنا من حصون الاستعمار ينفث منها سمومه وأفكاره ومبادئه •

لماذا لا تكون لنا •• ؟ !

تأميم القناة

فى يوم خالد •• خلود الأزل القائم •• يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، وقف السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى الاسكندرية وألقى بقنبلة سياسيةقلبتجميع الموازين السياسيةوالاقتصادية فى الشرق الأوسط •• وامتد دويها الى جميع أنحاء العالم وأصيب بشظاياها اصابة قاتلة كل من بريطانيا وفرنسا ••

دوى أثرها فى نيويورك وموسكو وطوكيو •• الخ وانطبع هذا الدوى فى قلب كل عربى حين أعلن الرئيس باسم شعب مصر •• وللمحافظة على استقلال مصر •• تأميم القناة ••

وكان هذا التأميم بداية لمعارك خضناها •• وسنخوضها لتتم سيادة مصر وحتى تتمكن القومية العربية ــ القوة الثالثة التى تحاول أن تشق لنفسها طريقا ــ من الظهور فى قوة تفرض بها اراداتها لتحسين أحوال شعوبها ورفاهيتهم ••

لم تسكت الدول المستعمرة ممثلة فى أمريكا وانجلترا وفرنسا على هذه الضربة القاصمة التى سددت الى الاستعمار • ابتدأ الصراخ يتعالى من كل جانب •• ايدن يحمل على جمال عبد الناصر ويقول أنه سرق قناة السويس ــ رغم أن

مفاوضات الجلاء التى وقعت فى ١٩٥٤ نصت صراحة على أن قناة السويس تخضع لاتفاقية القسطنطينية المؤرخة فى سنة ١٨٨٨ وتقول ان القناة جزء لا يتجزأ من مصر ـ وأضاف أيدن وهو يصرخ أن معنى ذلك هو تدمير اقتصاد بريطانيا ، ومعناه أيضا ضياع لقمة العيش من المواطن الانجليزى ، لأن اللقمة لا تأتى الا من المستعمرات عن طريق القناة .. والقناة فى يد جمال عبد الناصر ..

وموليه يلطم خديه فى رقة الباريسيات ونعومتهن ثم يقوم بأكبر عملية نصب فى العالم حينما ادعى أن الشركة فرنسية ولها مجلس ادارة يعقد سنويا فى باريس ، وأن عائلات كثيرة فى فرنسا تعيش من وراء هذه الاجتماعات ومن ريع الأسهم التى سرقوها من مصر .. ومعنى التأميم بالنسبة للرجل الفرنسى هو خراب بيته ، ولذلك فهو يطالب بوضع حد لتصرفات عبد الناصر الذى لم يكتف بالها ب الوطنية فى كل مكان ، بل يعود ليؤمم قناة السويس ..

رأى أمريكا

وأمريكا .. يحاول دلاس أن يشرح سياسة بلاده فيعلن أولا أن القناة ممر مائى دولى وأنه يرجح استعمال القوة مع عبد الناصر أى أنه متفق مع ايدن وموليه على فرض ارادة الاستعمار على جمال عبد الناصر ..

وشمرت هذه الدول عن سواعدها .. وانهالت بألفاظ التهديد والوعيد تحاول أن ترهب جمال وحكومته وشعبه .

القوة اذن هى السلاح الذى يجب التفاهم به مع هذا الرجل الذى يركل عجلة الكتلة الغربية بحذائه ويأبى أن يرتبط معها .. ويقول أن بريطانيا وفرنسا أصبحتا منحلتين

ولم يجد سلاح القوة ٠٠ مع مصر

فبدأ الحصار الاقتصادى على مصر لتجويع الشعب المصرى وارهابه ودفعه دفعا الى الثورة ـ ثم ابتدأ الاستعمار يشن حربا أخرى ٠٠ اظهار مصر بمظهر العاجز عن ادارة القناة ، ومعنى هذا أن مصر لا تستطيع ادارة هذا المرفق العالمى ٠٠ فابتدأت بعملية سحب المرشدين الأجانب ٠٠ وحقيقة لم يكن لدينا العدد الكافى من المرشدين ٠٠

وحدد المرشدون الأجانب مساء يوم ١٤ سبتمبر ١٩٥٦ موعدا لترك العمل ٠٠ وفعلا تركوا العمل ٠٠ ووقف العالم كله يرقب مصر ٠٠ ماذا ستصنع ازاء هذه المؤامرة ٠٠ ولكن العالم كله فوجىء بمرشدين من روسيا ويوغوسلافيا ومن جميع الدول الصديقة ٠٠ ومضت الملاحة فى القنال بصورة لا تقل عن أى يوم مضى رغم أن شركات الملاحة وكلها انجليزية وفرنسية وأمريكية تعمدت أن تسير أكبر عدد ممكن من سفنها فى الأسبوع التالى لترك المرشدين أعمالهم حتى تكشف للرأى العام عجز الادارة المصرية ، ومع ذلك فقد ثبتت الادارة المصرية واجتازت الامتحان الدقيق بمهارة ٠

محاولة اخرى

وبدأ الاستعمار محاولات أخرى ٠٠ عندما لاحظ المسئولون فى الهيئة المصرية لادارة القناة يوم ٥ أكتوبر ١٩٥٦ أن احدى ناقلات البترول الانجليزية تعمدت أن تتعطل عند منطقة الشلوفة فى طريقها الى بورسعيد ٠٠ فلم تمض ساعة واحدة حتى كانت الباخرة تسير فى القناة بعد اصلاحها بمعرفة المهندسين المصريين وفى نفس اللحظة التى وقفت فيها الباخرة أذاعت محطة الشرق الأدنى أن الملاحة قد تعطلت فى قناة السويس ٠٠ فكيف

استطاعت هذه المحطة أن تحصل على هذا النبأ ويرسله مندوبها اليها وتذيعه فى نفس الوقت الذى تعطلت فيه الباخرة ..

ان الحقيقة تؤكد أن كل هذا مفتعل ومتفق عليه .. وفى اليوم التالى كانت الباخرة أرشوشيت فى طريقها الى السويس وفجأة سقطت دفة الباخرة وأصلحت فورا ومرت فى طريقها الى عدن وكتب قبطان الباخرة يقول ان الباخرة قديمة وعمرها أربعون سنة وأن سبب تعطيلها يرجع الى الباخرة نفسها وليس للادارة المصرية شأن فى ذلك .. ورغم أن هذا يحدث فى جميع الممرات المائية فى العالم كله .. ورغم هذا الاعتراف الصريح من قبطان الباخرة فقد أذاعت محطة لنــــدن .. ان الملاحة معطلة فى قناة السويس .. !!

مؤامرات من كل جانب

وابتدأت شركات الملاحة تقــــوم بدور كبير فى الدعاية ضد مصر .. كانت تحرض ركاب السفن على عدم النزول الى الموانىء المصرية بحجة عدم استقرار الأمن فى البلاد ، وقد رأيت قبطان السفينة أوتشايانا الايطالية ــ وكانت قادمة من الهند الصينية وهو يحرض الركاب على عــدم النزول فى مينــاء السويس ، ونفس هذا حدث مع قبطان الباخرة سدنى ..

والمهم أن مؤامرات عديدة حيكت بمهــارة لتثبت عدم قــدرة مصر على ادارة الملاحة فى قناة السويس ، ولكن هذه المؤامرات كلها باءت بالفشل والخذلان .

واتجه الاستعمار وجهة أخرى .. شن علينا حربا اقتصادية استغل فيها كل امكانياته لتجويع الشعب المصرى وارهابه .. وابتدأت الوحدة العربية تتجــلى فى صـــدق وتتضــح معالمها

وأهدافهـا .. وقـد كان تأميم القنـاة ـ ولا يزال ـ امتحانا للقومية العربية فى كفاحها ضد الاستعمار ..

وقفت الشعوب العربية كلها بجانب مصر .. وفى يوم ١٦ أغسطس أضربت كل الشـعوب العربيـة تضامنا معنـا ووقفت كلهـا تؤازرنا لتحطيم الحصـار الاقتصادى .. قدمت المملكة العربية السـعودية لمصر ١٥ مليونا من الدولارات .. وقدمت سوريا القمح وتوالت المساعدات من كل عربى .. ولم تتركنا الدول الصديقة وحدنا .. عرضت روسيا كل المساعدات الممكنة من المواد الغذائية والأدوية وأدوات البناء والمصانع .. عرضت الصين الشعبية ويوغوسلافيا توريد كل ماتحتاجه مصر من أية مادة شاءت ..

وابتدأ الاستعمار يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يرى الحصار الاقتصادى يتحطم ولم يأت بنتيجة تذكر ..

فى المحافل الدولية

وأخذت مناورات سياسية تظهر فى المحافل الدوليـة يوم قدمت مصر والاتحاد السوفيتى ضمانا لحرية الملاحة فى القناة كأهم مبدأ للمفاوضات التى تدور بين مصر وبريطانيا وفرنسا فى هذا الوقت كان ايدن ومولية يحاولان اثارة العالم ضد مصر ويطالبان باستعمال القوة مهما كانت نتائج هذه القوة ..

وكان ذلك تهديدا سافرا من ايدن ليس لمصر وحدها بل للسلام العالمى .. ولم يوقف ايدن عند حـده الا الجنرال جروتر قائد قوات شمال حلف الأطلنطى الذى أعلن يـوم ١٨ أكتوبر بأن بعض الغواصات الروسيـة شوهدت تعبر البحر الأبيض الى جهة غير معلومة ..

وعلى هذا ابتدأ مؤتمر لندن ‥ واجتمع ممثلون لثــلاث وعشرين دولة بزعامة أمريكا وانجلترا وفرنسا وظلوا مجتمعين حتى صدمهم ديمترى شبيلوف الذى أعلن رأيه فى المشكلة وهو يتلخص فى الرأى الذى أعلنته حكومة الاتحاد السوفيتى منذ بدء الأزمة ، بأن الاتحاد السوفيتى يناصر قضيــة مصر ويقف بجانبها ٠

وكان هذا ايذانا بفشل مؤتمر لندن ‥ وانتقلت القضية الى دوائر الأمم المتحدة ‥ واتخذ الاستعمار طريقا آخر ‥

مناورات اخرى

ولم يعدم الاستعمار وسائله لتحطيم الجبهة العربيــة ‥ فى هذه اللحظات ‥ وفى الساعة العاشرة والنصف من مساء يوم ١٠ أكتوبر ١٩٥٦ صرح ناطق عسكرى مسـئول فى عمان بأن قوات اسرائيلية كبيرة تعززها الطائرات والمدرعات ومدفعيـــة الميدان والمدفعية المتوســطة قامت بهجوم عنيف على منطقـــة قلقيلة ‥ وقد ردت قــوات الجـيش الأردنى والحرس الوطنى هذا الهجوم ‥

اتضحت نية العدو اذن ‥ وهو العدوان على الدول العربية والضغط عليها حتى لا تقف الى جانب مصر وقبل ذلك ‥ منذ اممت مصر القناة ‥ ابتدأت تستعد لخوض أكبر معركة للحرية انخرط الشباب فى معسكرات التدريب ‥ وظهرت الأسلحة فى كل مكان ‥

وفى مساء أحد الأيام عقدنا اجتمــاعا فى جريدة المساء ‥ وقال رئيس التحرير الأستاذ خالد محيى الدين ‥ يجب أن

نتقل هذه المعركة الى الرأى العام كله •• نخوضها جميعا حربا على الاستعمار ••

وسافرت الى القطاع الشرقى •• ومكثت هنـاك عشرة أيام عدت بعدها وقـد رأيت كل شـبر من هـذه الأرض •• من الزقازيق حتى الاسماعيلية ومن بورسعيد حتى السويس قد أعد ليكون قبرا للاستعمار •• اننا نعلم أن معركة كبرى قادمة ولهذا فنحن نكافح للنصر •• الأسلحة بكميات هائلة مخزونة فى مخازن سرية ، وكانت عمليـات التدريب عـلى المقاتلة السرية والمقاومة الشعبية ، وأعمال الدفاع المدنى فى التل الكبير وأبو حماد والقرين والاسماعيلية لا تهدأ طوال الليل أو النهار •• استدعى كل ضباط الاحتياط ليقوموا بهـذا الواجب الوطنى الكبير •• حمى التدريب شملت القطر كله •• بل امتـدت الى الدول العربية كلها •

اسرائيل دائمـا

وأعود الى الهجوم الاسرائيلى على الأردن ••

ان اسرائيل دائما هى مخلب القط وهى التى تظهر دائما أمام كل مؤامرة •• هجمت على خان يونس فى فبراير ١٩٥٥ يوم وقفت مصر وقفتها الخالدة وشنت حربا شعواء على حلف بغداد ، ويوم حصلت مصر على الأسلحة التشيكية هجمت اسرائيل على الصبحة •• وحينما رفضـت الأردن باصرار ورغم مجهودات جبارة عنيفة بذلت ـ من جانب انجلترا ـ دخول حلف بغداد تعرضت لمجموعة من الاعتداءات فى مسـتهل عـام ١٩٥٦ من القوات الاسرائيلية •• ويوم وقفت الأردن بجانب مصر وأيدتها بقوة يوم أممت القناة •• تجددت الهجمات الاسرائيلية ••

والآن والانتخابات الأردنية على الأبواب تجددت الهجمات الاسرائيلية لتعطيل الانتخابات الأردنية ، وتفتيت الجبهة العربية ، وتحويل أنظار العرب من معركة مباشرة مع الاستعمار الغربى الى معركة غير مباشرة مع اسرائيل ..

وفى العراق

وابتدأت قوات بريطانية تحتشد فى العراق ..

وخيمت على الأفق سحب مؤامرة حربية جديدة حين وافق الغرب على دخول القوات العراقية أرض الأردن .. وفى هذه الأثناء انتهت مناقشات مجلس الأمن بشأن قضية قناة السويس ..

فى ساعة مبكرة من صباح يوم ١٤ أكتوبر ١٩٥٦ استعمل الرفيق شبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتى حق الفيتو فى جانب مصر ضد مشروع القرار البريطانى الفرنسى المقدم الى المجلس .. وكان هذا القرار يحتوى على جزءين ، وافق المجلس بالاجماع على الجزء الذى يشتمل على المبادىء الستة التى وافقت عليها بريطانيا ومصر وفرنسا لتكون أساسا للمفاوضات التى تجرى بين الجانبين للوصول الى اتفاق كامل بشأن القناة . وهى حرية مرور السفن فى القناة دون قيد واحترام سيادة مصر وعزل القناة على السياسة وتحويل الرسوم على المرور فى القناة بالاتفاق بين مصر والدول المستخدمة للقناة وتخصيص جزء معقول من الدخل لتحسين القناة وفى حالة نشوب نزاع بين الحكومة وشركة القناة تسوى عن طريق التحكيم بطرق معقولة .

أما الجزء الثانى من الاقتراح فيطلب التصديق على مشروع الدول الثمانى عشرة للادارة الدولية للقناة وهو المشروع الذى

أسفر عنه مؤتمر لندن الثاني وقد صوتت الى جانب الجزء الثاني تسع دول من أعضاء مجلس الأمن ، وامتنعت يوغوسلافيا عن التصويت ورفضته روسيا ·· وهذا الجزء الثانى من القرار الذى قدمه سلوين لويد يطلب من مجلس الأمن أن يوافق على مقترحات الدول الثماني عشرة الخاصة بتدويل القناة ويطلب من مصر أن تقدم اقتراحات تشتمل على ضمانات لاتقل عن الضمانات التى وضعتها الدول الثمانى عشرة ·· كما طلب من مجلس الأمن أن يعلن أن هيئة الدول المستخدمة لقناة السويس لها الحق فى تلقى الرسوم والعمل على تيسير الملاحة حتى يصل الطرفان الى اتفاق ··

وأعلن شبيلوف أن هذه الفقرة تنطوى على ضغط الدول الغربية على مصر ، وأنذر بأنه يستخدم حق الفيتو للحيلولة دون اقرار مشروع القرار البريطانى الفرنسى ·· وهكذا استطاع شبيلوف أن يحبط مؤامرة لويد وبينو

وفى نفس الوقت أعلن داج همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة أن القرار الذى اتخذه المجلس يعبر عن الموافقة على المبادىء الستة التى توصلت اليها مصر وبريطانيا وفرنسا فى الاجتماعات السرية التى دارت بين وزراء خارجيتها ، ويعتبر هذا القرار بداية مناسبة للبحث عن حل سلمى لمشكلة القناة ·

مفاوضات جنيف

وابتدأ الجميع يستعدون لمفاوضات قالوا انها ستبدأ فى جنيف بين مصر وانجلترا وفرنسا ·· وواصل داج همرشولد يوم ١٥ أكتوبر محادثاته الخاصة بعد أن اتخذ مجلس الأمن قراره بموافقة اجماعية على المبادىء الستة أساسا للمفاوضات واجتمع سلوين لويد قبل سفره الى لندن بالدكتور محمود فوزى ··

للتمهيد لهـذه المباحثات . وفى هـذا الوقت نشرت صحيفة نيويورك تايمز أن لويد طلب من الحكومة الامريكية المساهمـة فى مباشرة جمعية المنتفعين بالقناة عملها خلال هذا الأسبوع دون انتظار اتمام التنظيمات التفصيلية لهذه الهيئة .. ووعددلاس بالموافقة وأضافت التايمز أن بريطانيا ستلجأ الى القوة اذامنعت مصر سفنها من المرور فى القناة عندما تبدأ جمعية المنتفعين عملها

اتجاه المؤامرة

ومن جانب آخر ابتدأت المؤامرة تتخذمظهرا ايجابيا لتحطيم قوى الأمة العربية الناشئة فأعلن فى لندن فى نفس اليـوم أن الحـكومة البريطانيـة قلقة بسبب مشـكلة الحدود الأردنيـة الاسرائيلية وصرحت دوائر وزارة الخارجية البريطانية أنهـا تدرس التصريح الذى أدلت به جولدا مايرسون وزيرة خارجية اسرائيل والذى جاء فيه أن اسرائيل مصممة على أن تتحدىأى تهديد لحدودها .. وكانت جولدا تشير بذلك للقوات العراقية التى سـتدخل الأردن قريبـا . وممـا يذكر أن السـفارتين البريطانيـة والأمريكيـة فى تل أبيب قد أكدتا لجولدا أن القوات العراقية التى سوف تدخل الأردن مهمتها المحافظـة على الأوضاع الداخلية فى الأردن . كما أن الولايات المتحدة موافقة مع العراق على هذه الخطوة .

الأردن الحبيب

وابتـدأت الأنظار كلهـا تتجـه الى الأردن .. نتيجـة للمناوشات التى تقوم بها اسرائيل على حدوده .. ومن جانب آخر قوات من العراق تحتشد على الحدود ..

أنظار العرب وقلوبهم كلها مع الأردن فى صراعه ضد قوات الاستعمار التى تجمعت لتلعب بمهارة وحذق أثناء معركة الانتخابات .. كانت معركة الانتخابات فى الأردن امتحانا للقومية العربية .. وصمودها أمام تيارات عنيفة عاصفة من كل جانب ..

وأعلن سليمان النابلسى زعيم الاشتراكيين القوميين أن الشعب الأردنى مهما كانت نتيجة الانتخابات فانه سيقوم بالغاء المعاهدة الاردنية الانجليزية .

كان العالم كله يرقب الساعات التى تسبق الانتخابات الأردنية وذكرت صحيفة هيرالد تربيون أن أى تسرع من جانب الجماهير أو اسرائيل أو العراق أو الحكومة الأردنية سوف يشعل الثورة فى الشرق الأوسط كله .

وفى نفس الوقت رفضت الحكومة الفرنسية التصريح المصرى الذى يقول ان المقترحات التى قدمتها مصر بشأن أزمة القناة تصلح أساسا للمفاوضات وبالتالى أصبحت المفاوضات التى ستجرى فى جنيف عديمة القيمة ..

مظاهرات جوية

وقامت الطائرات النفاثة البريطانية التى وصلت الأردن بمظاهرة جوية فى سماء عمان لتهديد الشعب الأردنى ليلة الانتخابات وتذكيره بأنه ما زال فى الجعبة البريطانية الشىء الكثير وصدرت الأوامر الى الرعايا البريطانيين والأمريكيين ألا يغادروا بيوتهم على الاطلاق خلال يومى السبت والأحد . . وأصدرت وزارة الخارجية الأردنية بلاغا رسميا أعلنت فيه قطع المواصلات بين الأردن وسوريا والعراق حتى تنتهى عملية الانتخابات . وفى نفس الوقت دخلت القوات العراقية الأردن بتدبير من نورى السعيد وايدن وبن جوريون .

مقترحات محددة

كل هذا يحدث فى الوقت الذى طالبت فيه الحكومتان الفرنسيةوالانجليزية مصربتقديم مقترحاتمحددة لبدءالمباحثات لحل مشكلة القناة ۰ ولكن المصادر المصرية حددت موقفها بوضوح بأن هذه المباحثات الاستطلاعية ستبدأ بما انتهى اليه مجلس الأمن بأن تكون على أساس النقط الست التى انتهت اليها المناقشات فى نيويورك وأن مصر مستعدة للتعاون بشرط الا تكون هناك سيطرة دولية وأن مصر ستقوم بهذه المباحثات لتأكيد حرية الملاحة فى القناةوتحديد الرسوموتنفيذ مشروعات الأصلاح ۰

وظهرت نتيجة انتخابات الأردن ۰۰ الأردن الصغير القليل الموارد ۰۰ الذى تحالفت كل القوى الاستعمارية ضده ۰۰ وقف شعبه فى شجاعة نادرةففاز التقدميون والاشتراكيون الوطنيون بأغلبية المقاعد ۰۰ وهكذا خنق الأردن الاستعمار خنقة قوية وكتبت صحيفة تلغراف اللبنانية تقول ان الانتخابات الأردنية جاءت برهانا جديدا على أن الوطنية العربية تسير الى الأمام وأنها قد دفنت حلف بغداد فى مقبرة لانجاة له منها ۰۰

انتصار القومية العربية

انتصرت القوة العربيــة اذ ذاك بالانتخابات الأردنيــة وشدت أزرها فى قوة أذهلت شعوب العالم كله ۰۰ ولتحويل الرأى العالمى عن هذا الانتصار قامت فرنسا باكبر عمليــة قرصنة يوم خطفت بن بللا وزعماء الجزائر ۰۰ وتحالفتتونس والجزائر ومراكش للوقوف صفا واحدا ضد الاستعمار

الفرنسي •• وهاج العالم العربى •• واضربت الشعوب العربية من مراكش الى الخليج العربى احتجاجا على هذا العمل الاجرامي

وغلى بركان عنيف في الشرق الأوسط •• وهاجت فرنسا واتهمت مصر بأنها تساند حركة الجزائروأنها تبعث بالاسلحة الى الثوار هناك واتهم بينو مصر فى وقاحة بهذا الاتهام ووقف رئيس وزراء مصر أمام الألوف التى احتشدت ، وروى اتهام بينو وسخر منه وقال بأنه سيترك مهمة الرد على وقاحة بينو الى أهل الجزائر أنفسهم ••

وعقدت عدة اجتماعات لبعث جمعية المنتفعين بالقناة ولكنها باءت جميعا بالفشل •• كل هذا يحدث ومصر من أقصاها الى أقصاها تستعد لمعركة التحرير •• المعركة الكبرى التى سيخوضها كل رجل وكل امرأة لصد أى عدوان قد يقع على مصر ••

فى هذه اللحظات الخالدة كانت القومية العربية التى بعثت قوية قد أخذت شخصيتها تكتمل وتعلن فى اصرار بأنها لن ترضى عن الحرية بديلا مهما كان تهديد المستعمرين •• وفى نفس الوقت كانت الملاحة تسير بانتظام •• كانت جميع السفن بلا استثناء تمر حتى التى لم تدفع الرسوم، كل هذا لاحباط أية حجة من حجج المستعمرين بأن مصر تعطل الملاحة فى القناة •

التأميم ليس السبب

كان لابد اذن من حدوث شيء •• أى شيء •• لقد فوتت مصر كل الفرص على المستعمرين التى يمكن أن تتخذها ذريعة لاستعمال القوة •• العالم كله شهد للادارة المصرية للقناة التى

فاقت ما يدعيه الأجانب من حذق في مثل هـذه الأمور ..
والأردن خرج من امتحانه عزيزا شامخا نبيلا يدفع القـومية
العربية الى الأمام

اذن تأميم القناة ليس سببا للعدوان لأن مصر أعلنت أنهـا
لن تحول دون مرور أية سفينة .. ولكن لابد من ايجاد سبب
يمكن به للاستعمار تحطيم القومية العربية التى أخذت فى الظهور
ككتلة ثالثة فى العالم ظهرت واضـحة فى مؤتمر باندونج ..
واحتشدت ألوف الجنـود والاساطيل فى قبرص لتنتهز أية
فرصة للوثوب على مصر .. وكان مخلب القـط كالعادة هـو
اسرائيل .. ومن هنا .. ولذلك .. يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦
بدأ العدوان .

خطة محكمـة

ووضعت فى لندن خطة محكمة الاطراف ..

وداعب ايدن خياله وهو يتصور نجاح خطتـه فيقضى عـلى
القومية العربية ويستعيدلبريطانيا العجوز مجدها الذىذهب .
وذهب معظمه على يد ايدن . ايدن الذى أراد أن يصبغ شـعر
العجوز الشمطاء فأصابها بالصلع المقيت .. !!

وبدأت أول الخطة بأن يتاح لاسرائيل فرصـة للزحف على
سيناء حينئـذ يهب جيش مصر كله لمقاومة اسرائيـل .. وفى
الصحراء .. فى الصحراء الواسعة .. وفى ذات الوقت تهجم
بريطانيا وفرنسا ـ وأمريكا أيضا بأسلحتها .. بأسلحة حلف
شمال الاطلنطى الذى أعد ليحارب روسيا .. تهجم انجلترا على
مصر بينما جيش مصر مشتبك مع اليهود .. !!

وذهبت الأحلام بايدن مذهبا بعيدا وهو يتصور نجـاح
خطته .. ويرى بأحلامه الشعب المصرى وهو يثور على جـال

عبد الناصر •• حينئذ تنهار مصر •• ومع انهيار مصر تخمد تلك القومية العربية التى يصر جمال عبد الناصر عليها ••

وهنا تتقسم الأسلاب ••

اليهود يستولون على سيناء ••

بريطانيا تأخذ مصر من نصيبها

بينما تطلق لفرنسا حرية اقامة مذابح كما تشاء فى المغرب• فى تونس •• والجزائر ومراكش ••

وتنتهى الضجة ويسكن كل شىء •• ويقضى على القومية العربية •• وتعود عجلة التاريخ أعواما الى الوراء •• ويتفرق العرب ويعود الاستعمار من جديد ••

خطة محكمة الأطراف •• واسعة المدى ••

وكنت فى هذه الأثناء أجرى وراء الأنباء فى القطاع الشرقى فى الزقازيق •• والاسماعيلية •• وبورسعيد •• والسويس لم نكن نتحدث فى هذه اللحظة الحاسمة •• كان الكل يعمل ••

بلا أحقاد

أيام قضيناها بلا كراهية •• بلا أحقاد •• كنا جميعا قلبا واحدا •• وعقلا واحدا •• ورجلا واحدا •• كل يعرف واجبه ليال بأكملها قضيناها بلا نوم •• وربما بلا طعام ••

القيادة الشرقية بقيادة اللواء على عامر فى عمل مستمر •• كنا لا نراه •• فى الاسماعيلية •• القائمقام حمدى عبيد مجرد رؤيته كانت نصرا • تراه فى الزقازيق ثم فجأة بمنيا القمح والتل

الكبير • • مئات من الرجال يعملون • • ويزحفون نحو غرضهم المقدس فى قوة وحزم • •

انتقل البكباشى لطفى واكد وترك القاهرة الى الزقازيق دائما النور الأحمر على مكتبه •• لا تراه ولكنه دائما يعمل •• وبجانب حجرته حجرة أخرى يجلس فيها اليوزباشى آمال المرصفى • أمامه خريطة للقطاع كله وآلاف من الأسهم الحمراء تزحف وآلاف من الكرات تثبت كل كرة تعنى معسكرا • • انتهينا الآن من معركة الاعداد ••

يالها من أيام ••

أيام تجسم فيها الكفاح وخرج عن مدلوله اللفظى حتى أصبح حقيقة كالطعام والشراب •• الشىء الوحيد الذى كان يخيم على هذا المكان هو العمل •• العمل السريع لمواجهة كل احتمال •• !!

على ضوء الشموع

•• ليال كثيرة كنا نجلس فيها بلا ضوء •• وعلى ضوء شمعة صغيرة نتحدث ونحن جلوس •• وقال لى البكباشى لطفى واكد استطيع الآن وأنا واثق مما أقول أن أؤكد أن كل رجل هنا يعرف أين يضع قدميه فى المعركة •• بل كل امرأة هنا تعرف واجبها ••

المدارس هنا أغلقت وأصبحت قيادات لجيش التحرير ••

المستشفيات امتلأت بالمتطوعات ••

خبراء فى اطفاء الحرائق • • واشعالها • • يقودون جماهير غفيرة نحو تعلم هذا الفن ••

كتائب بأكملها تعمل خلف الصفوف ٠٠ صفوف المعركة ٠٠

التموين درس بدقة وعناية ٠٠

عدد المخابز ٠٠ عمال المخابز حصروا ٠٠ عمليات المياه ٠٠
كل شيء درس بدقة وعناية ٠٠

الأسلحة الروسية فى يد المتطوعين ٠٠

الكل يدرب عليها ٠٠ حقول من الألغام يتعلم فيهـا أفراد المقاومة الشعبية كيف يخرجون منها الألغام ٠٠ طريقة صناعة القنابل اليدوية ٠٠ رأيت الفلاحين فى حقولهمقد درسوا بعناية طريقة الدفاع وطريقة الهجوم ٠٠ انهم هنا فى مديرية الشرقية على وجه التحديد يعرفون كيف يحاربون الانجليز ٠٠ لقـد حاربوهم منذ أجيال بعيدة ٠٠ حاربوهم منذ بدء الاحتلال ٠٠ وهم الذين حفروا القناة وسالت دماؤهم على شاطئيهـا ، وهم الذين بثوا فىقلوبهم الرعبعام ١٩٥١ انهم يعرفونهم حقالمعرفة ولهذا كانوا على ثقة من النصر ، وهناك بطولات خارقة شاهدتها فى أبى حماد مثلا ٠٠ كان قائد المعسكر الصاغ محمدحسن ٠ انه **رجل هادىء جدا يخيل اليك من هدوئه أنه من الممكن أن يكون رجل سياسة لارجل حرب ٠٠ قال فى هدوء تام اننا هنا نعرف الانجليز ٠٠ ويشتعل حماسة وهو يؤكد أن ثأرا قديما نابعـا من الماضى بين الأهالى والاستعمار ٠٠ خذ مثلا هذه الفتاة ٠٠ وأشار الى فتاة صغيرة لايتجاوز عمرها السادسة عشرة ٠٠ قال ان هذه الفتـاة تلاحقنى ليل نهار لتتدرب ولم نثنه بعـد من تدريب الرجـال ٠٠ ومع ذلك ٠٠ مـع اصرارها ٠٠ تدربت هل تدرى لماذا ٠٠ لأن أخاها الوحيـد استشـهد فى غزة ٠٠ خذوا مثلا ٠٠ الصاغ أمين الخولى ٠٠ لاأحـد يعرف أين هـو الآن لقد كان شعلة وهاجة ترك أبناءه الخمسة وسافر الى غزة**

ورفض أن يعود ••• ولم يعـد الا فى الأسبوع المـاضى •••
لمـاذا ؟•• للثأر المتأصل الذى سرى مع الدماء بين الأهالى وبين
قوات الاستعمار •

فى الاسماعيلية

وفى الاسماعيلية كان العمل على قدم وساق ••

قائد المقاومة البكباشى صـادق ذهنى لا يفرغ أبدا ••
والصاغ أحمد حافظ مسئول عن الاسماعيلية والصاغ الفريج
الحسينى عن بورسعيد •• انهم دائما فى عمل دائب •• قال لى
ذات يوم وسحب العدوان تخيم علينا •• ان الاسماعيلية كلها
الآن عبارة عن خنادق •• لقد تم حفر شوارع المدينة وسنهتم
بتلغيمها ••

اننا نعلم أن العدو سيهجم علينا •• لابد من حدوث شىء ••
قلبى يحدثنى بهذا •• كان هذا الحديث مساء يوم ٢٧ أكتوبر
وتناولنا العشاء عند البكباشى المنياوى وكان حديثنا كله عن
العدوان ••

ليلة رهيبة

ولا ندرى أهو الاحساس بالخطر المحيـط بنـا هو الذى
جعل سحابة من الصمت تهبط علينا ونحن نجلس فى الاسماعيلية
يوم ٢٨ أكتوبر •• فقد كنا نعلم أن الغـد سيأتى ومعـه شىء
جديد •• وهذا الشىء الجديد يتلخص فى أن يوم ٢٩ أكتوبر
هو الموعد الذى حدده داج همرشولد السـكرتير العام للأمم
المتحدة ليجتمع ممثلو مصر بممثلى بريطانيا وفرنسا لوضع حد
لمشكلة القناة ••

وكنا ـ ولا نزال ـ لا نثق أبدا بالأمم المتحدة ٠٠ وكنا نتكهن بنتيجة المباحثات ٠٠ منا من يقول ان فرنسا وانجلترا ستوفقان الى اتفاق مع مصر ومنا من يذهب عكس ذلك ولكننا جميعا استبعدنا فكرة حدوث العدوان اذ معنى ذلك سيكون دون شك بداية قيام حرب عالمية ثالثة وأن الكتلة الغربية لن تقامر فى سبيل القناة أو العرب كلهم وتعطي لروسيا فرصة تستطيع أن تنفذ خلالها وتشتبك مع الكتلة الغربية فى حرب لايعلم نتيجتها أحد ٠٠

ومن ناحية أخرى أعلنا أن معنى رضاء انجلترا بهذا الوضع فيه قتل لها وتحكم فى اقتصادها ٠٠ وعلى أى الحالات فقد أعلن العسكريون منا أن مدى استعدادنا يجعل اسرائيل لقمة سائغة لقواتنا لأنها لن تستطيع ـ مهما كانت قوتها وسلاحها أن تقف أمامنا يوما أو يومين وأخذوا يسردون الكثير عن الأسلحة التى وصلتنا من تشيكسلوفاكيا وأن قواتنا كلهاقد تمرنت عليها وأسهبوا فى وصف الدور الذى تستطيع الطائرات الميج أن تقوم به فى كسب النصر ٠٠ ولكن ٠٠ كان هناك فى قلب كل منا عرق ينبض قلقا ٠٠

وجاء اليوم التالى يحمل الأمل الى قلوبنا ٠٠ فقد نجح الاضراب العام فى العالم العربى كله من أجل الجزائر ٠٠ كانت مظاهرات الكراهية ضد فرنسا فى كل مكان واستطعنا أن نجمع قلوب أحرار العالم كله معنا ٠٠

وفى الصباح ٠٠ صباح ٢٩ أكتوبر تكشفت النية الغادرة من جانب اسرائيل ٠٠ حشدت اسرائيل ٢٠٠ ألف جندى مسلح على طول الحدود ٠٠ وتوتر الموقف فجأة ٠٠

فى نفس اللحظة التى كانت اسرائيل تحشد قواتها كانت أمريكا تأمر بسحب رعاياها من مصر وسوريا والأردن ٠٠

وهذه الحقيقة تدمغ أمريكا بموافقتها على العدوان الغاشم على الشعوب رغم ما تذيعه أبواق دعاياتها من أنها أمة تحرص على السلام .. ولتزيف على الرأى العام العربى أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية بيانا ذكرت فيه بأنها تتشاورمع بريطانيا وفرنسا حول خطورة الموقف ..

أمريكا .. تتشاور مع بريطانيا وفرنسا .. فى الوقت الذى تقوم فيه القوات الاسرائيلية تساندها قوات انجليزية وفرنسية للاستعداد لغزو مصر .. وأمريكا .. تتشاور !!

وتحركت اسرائيل

وكان يوما مشهودا ذلك اليوم الذى ابتدأت فيه قوات اسرائيل تتقدم صوب المواقع المصرية .. وعلى الفور أصدر القائد العام للقوات المسلحة أمره بصد العدوان ..

وشهدت الصحراء الواسعة .. شهدت نيرانا لم تشهدها من قبل .. شهدت قلوب المصريين جميعا وقد تجمعت مع قواتها تشد من أزرها الأمر الذى جعل الزحف الاسرائيلى يتوقف امام تقدم قواتنا المسلحة ..

اعلان التعبئة العامة

وابتدأت أمريكا تكشف النقاب .. سحبت كل رعاياها فى مصر .. ولم تقف مصر .. بل أعلنت التعبئة العامة .. فذهب كل ضابط الى وحدته .. وشهدت سيناء معارك خالدة وبطولات نادرة .. ضابط صغير يوزباشى .. كان يعسكر بقواته فى منطقة الكونتللا ورأى المدافع الاسرائيلية والدبابات تتقدم نحوه ، كان عدد قوته ١٣ جنديا .. ولم يكن المدد قد وصله بعد .. وقال له قائده .. احرص على الكونتيللا حرصك على حياتك .. لم يكن لديه وقت للتفكير ..

.. كان كل ما يريد هو تعطيل الزحف اليهودى لمدة نصف ساعة تستطيع خلالها قوات النجدة أن تصل اليه .. وبلعبة صغيرة جدا ضحك على ذقون القوات الاسرائيلية فقد أقام لهم حصنا وهميا ، وخلع الضباط والجنود ستراتهم العسكرية وعلقوها على عصى كأنها جنود .. وتقدمت القوات اليهودية وأخذت تدك الحصن الوهمى بنيرانها ..

ومضت ثلاثة أرباع الساعة دون أن يتحرك الحصن .. ودون أن تتقدم القوات الاسرائيلية ، وكانت قواتنا قد وصلت وفجأة كانت الأرض تصطلى بالنار التى تخرج من كل مكان .. هول كبير اسمه الحرب ابتدأ يدك الأرض الوادعة الرابضة هناك فى ربوع سيناء ..

وارتد الزحف اليهودى ليلة بأكملها .. كانت رهيبة كالموت عاصفة كأعصار قوى شهدته سيناء .. طائراتنا فى الجو تقوم بالمعجزات ، وتلقى آلاف الأطنان من القذائف على الزحف اليهودى .. عربات ودبابات بأكملها قد احترقت .. دماء خضبت الرمال الصفراء .. لا صوت الى طلقات المدافع وأزيز الطائرات .

وأصبح .. الصباح .. صباح ٣٠ أكتوبر١٩٥٦وأصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة بيانا هذا نصه :

« اشتبكت نقطة انذار سلاح الحدود فى منطقة الكونتيلا ونخل والتحمت بقوات العدو مساء أمس .. وفى الساعة السابعة من صباح اليوم اتضح أن قوات العدو لم تستطع أن تتغلب على هذه النقط فى المناطق الثلاث وبذلك فشلت خطة العدو فى التقدم بقوات رئيسية داخل الأراضى المصرية وبدأت القوات المصرية منذ صباح اليوم فى تصفية القوات الاسرائيلية فى هذه المنطقة وقد تكبد العدو خسائر لا يعرف مداها بعد اشتباكه بنقطة انذار سلاح الحدود .. »

وفى نفس الوقت قامت الطائرات المصرية بشن أكبرهجوم جوى شهدته اسرائيل منذ وجدت حتى الآن •• كما قامت القوات البرية بتصفية المواقع الاسرائيلية التى كانت لاتزال باقية بالقرب من الكونتيللا ورأس النقب •

وأصدرت القيادة المصرية أخيرا بلاغا ذكرت فيه كل هذه الحقائق بصراحة واختتمت البيان بأن قواتنا الجوية سيطرت على جو المعركة سيطرة تامة ••

شىء رائع جدا •• وبسيط فى الوقت ذاته أن تتلقى اسرائيل هذا الدرس القاسى من مصر ••حقيقة كلنا نعرفها•• كل فرد فى أى مكان من الوطن العربى يعلم عن ثقة أن اسرائيل لاتستطيع أن تقف أمام القوات المصرية يوما واحدا بأية حال •• وهذه الحقيقة التى نعلمها جميعا اعترف بها بن جوريون نفسه كما اعترفت بها دولتا الاستعمار •• انجلترا وفرنسا •

انذار بريطانى

ولكن النية التى بيتت كان دور اسرائيل فيها هو هو لم يتغير ولم يتبدل •• كانت مخلب قط لا أكثر ولا أقل ••فما أن حدث هذا الانتصار الرائع •• حتى تدخلت انجلترا وفرنسا فاشتركتا فى المعركة بعد أن شكلتا لأول مرة فى التاريخ •• قيادة واحدة جعلت مقرها قبرص وهكذا وحدت الشيخوخة بينهما بعد أن باعدت بين قيادتهما وجيوشهما الاطماع والتنافس الاستعمارى •• ووجهت الشيختان أعنى انجلترا وفرنسا انذارا الى مصر فى ٣٠ أكتوبر تطلبان فيه :

١ ــ ايقاف جميع الاعمال الشبيهة بالحربية فى البر والبحر والجو بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية •

٢ – سحب جميع القوات العسكرية المصرية الى مسافة عشرة أميال غربى قناة السويس ٠

٣ – قبول مصر احتلال القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية فى بورسعيد والاسماعيلية والسويس ٠

وحددت بريطانيا للرد على الانذار اثنتى عشرة ساعة بحيث اذا لم تتسلم الحكومتان الانجليزية والفرنسية اجابة الحكومة المصرية فى الوقت المحدد فانهما ستتدخلان بالقوة ، وسوف تتولى قوات بريطانيا وفرنسا احتلال أجزاء معينة من الاراضى المصرية ٠٠

هذه هى المؤامرة وعليكم أن تتصوروا كيف أن الانذار البريطانى الفرنسى لمصر سيوقف القتال وان تتصوروا أيضا أن مصر هى المعتدية حتى يوجه اليها الانذار ٠٠ لكأن مصرهى التى خرقت مبادىء الامم المتحدة وكأن مصر هى التى حاولت غزو اسرائيل ٠٠

وكان لا بد من رفض هذا الانذار الوقح ، ووصفه بالوقاحة أقل وأيسر مايقال فيه ، وان كان على وقاحته قد كشف عن نوايا الاستعمار ودل على حقيقة تاريخية من مراحل نمو الحركة التحررية فى مصر ٠٠ بل فى الامة العربية كلها ٠٠ لقد أحس الاستعمار أن هذه القوة التى ابتدأت تنمو وتزدهر تهدد مصالح الاستعمار بالزوال وتجعل السبيل الوحيد لانقاذها هو الالتجاء الى العدوان السافر بعد فشله فى ربط هذه الشعوب بعجلة أحلافه ٠٠

اعلان التعبئة العامة

وكان رد مصر حازما ٠٠ سريعا ٠٠

اجتمع مجلس الوزراء المصرى اجتماعا تاريخيا وصدر قرار

جمهورى باعلان التعبئة العامة فى جميــــع أنحاء الجمهــــورية المصرية ..

لقد أصبح لزاما على مصر أن تدافع عن سيادتها وعن حريتها وعن كرامتها .. بل تدافع باصرار حتى آخر رجل بل لآخر قطرة من دم كل وليــد فى بطن أمه ، حتى لا تنتــكس القــــوة التحررية فى العالم كله الى الوراء .

وصدرت الاوامر بسحب الجيش المصرى من سيناء حتى يقف مع الشعب سدا منيعا ، فى قوة الفولاذ أمام أى اعتداء ..

وأعلن رئيس جمهورية مصر فى قوة وحزم أن مصر ستضنع حريتها بسواعد أبنائها وســـــتروى شجرتها بدمائهم تلك الشجرة التى لاتنمو قوية مثمرة الا اذا رويت بالدم القانى وسيكون هو أول من يتقدم الصفوف .

لم يتوقف القتال بالطبع ..

ولكن الذى حدث أن الغارات اشتدت بصورة بشعة عــلى المطارات .. جميع المطارات المصرية شهدت قتالا عنيفا شنه الاعداء حتى يضمنوا عدم اشتراك سلاح الطــيران المصرى فى المعركة ..

وتتالت الغارات على المدن المصرية بصورة بربرية همجية..

لم تكن الاهداف العسكرية هى غرض طائرات العدو .. بل كانت منازل السكان الوادعين بمن فيها من الرجال والاطفال والنساء هى الهدف .. وكذلك المستشــــفيات بما تضم من عجزة ومرضى .

كانت مؤامرة لارهاب الشعب المصرى وتحطيم قواه المعنوية بالغارات التى كانت تســــتمر أحيانا أربعا وعشرين ســـاعة فى كل أربع وعشرين ساعة !!

وكانت مدن القنال بالذات أكثر من سواها تعرضا لهجمات عنيفة متوالية ·· فى بور سعيد ·· وفى الاسماعيلية ·· وفى السويس ·· وكان المقصود هو القيام بمظاهرات ارهابية فى مدن القنال للتمهيد لاحتلال هذه المدن ·

فى الوقت الذى كانت فيه المدن المصرية تتعرض لجحيم الغارات الجوية كانت سوريا تستعد بقواتها لتضعها تحت امرة مصر ·· وثار الشعب السورى كله وطالب بالدخول فى معركة الحرية التى تخوضها مصر ··

وفي المملكة العربية السعودية أعلن جلالة الملك سعود التعبئة العامة فى البلاد ، وقالت السعودية فى قوة كلمتها يوم وضع الجيش السعودى نفسه تحت تصرف مصر ··

وكانت مصر نفسها فى هذه الأثناء شعله وهاجة مضيئة من الحماس والوطنية ·· كان ٢٣ مليون مصرى يقفون وقفة رجل واحد ·· رغم الغارات المتتالية التى لم تنقطع على السكان الآمنين ·· معسكرات التدريب كانت تلقى بخريجيها فى المعركة ·· الجميع من جيش ·· بوليس ·· شعب يعملون فى قيادة واحدة ··

وكان صدى هذه المعارك فى جميع انحاء العالم رهيبا ··
أسعار الاسهم والسندات فى أسواق العالم فى تقلب مستمر ·· احتمال قيام حرب عالمية ثالثة أصبح متوقعا فى أية لحظة ··

والدول العربية ــ حكوماتها كلها ــ ماعدا حكومة نورى السعيد كانت تلتهب حماسا ·· والملك حسين فى الاردن عقد اجتماعا عاجلا لمجلس الوزراء الاردنى وكانت قراراته تاريخية هامة لنجدة مصر ومساعدتها بكل مايمكن للاردن أن يقدمه من رجال وسلاح ··

صباح رهيب

وغدت مصر كلها شعلة وهاجة من الحماس ..

كانت معركة ضخمة خضناها جميعا بقوة وبشجاعة وايمان

أصبح الصباح واذا بقائد جيش التحرير الصاغ كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم يعلن فى قوة أن الحكومة قررت غلق جميع المدارس والجامعات حتى تتهيأ الفرصة لجميع المواطنين لخوض معركة الحرية ، وحتى يستطيع الشباب أن يؤدى واجبه المقدس حيال وطنه الحبيب ..

صدر هذا القرار التاريخي المجيد يوم ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ فى الوقت الذى كان فيه الجيش ينسحب من سيناء ليقف مع الشعب يدافع عن كل شبر من أرضه .. لقد اتضحت معالم المؤامرة وأيقن الجميع أن قوات الاستعمار لاهدف لها الا احتلال البلاد ..

ماذا فعلنا

حقيقة ضخمة أريد أن أذكرها .. كان واجبا علينا جميعا أن نعبىء كل قوانا للمعركة .. وأن تجند كل امكانياتنا لكسب النصر .. وكان واجبا ضخما على الصحافة والاذاعة بالذات لتعبئة القوى المعنوية والروحية للمواطنين جميعا .

والحقائق كلها تؤكد أن الاذاعة حاولت جهدها أن تقف فى المعركة ببطولة .. كما قامت الصحافة الحرة أيضا بدور هام فقد كنا فى المساء نعمل ليل نهار .. أكثر مندوبى الجريدة فى الخطوط الامامية يسجلون كل ومضة من ومضات الكفاح

الرائع الحر .. وكان نصيبي القطـــــاع الشرقي كله ومعي ثلاثة من الزملاء !!

انني أذكر هذه الآيام كأنها قطعة من نفسي .. كانت قيود الاضاءة قد جعلت المدن كلها في ظلام .. وكانت المواصلات التليفونية كلها مشغولة ـ خاصة في الاسماعيلية والزقازيق وبورسعيد والسويس .. للاعمال الحربية .. والمواصلات الى القاهرة من الصعوبة بمكان ..

وكان واجبي الأول هو ايجاد وسيلة للاتصال بالجريدة .. وليس مرة أو مرتين بل لعدة مرات في اليـوم وفي مصلحــة الثليفونات بالاسماعيلية كان يقوم بيني وبين موظفي المكتب صراع عنيف .. هم يقدرون ولا شـــك واجبي ، ولـــكن كانت هناك العمليات الحربية .. وكان علي أن أنتظر وقتا طويلا يستريح فيه الضباط خمس أو عشر دقائق فيهـرعون جميعا الى تيســـــير مهمتي وحينمــا كان يعز ذلك ، كنت أتوجه الى الزقازيق .. وتقـوم محاورات حــلوة جميـــلة بيني وبين اليوزباشي آمال المرصفي أركان حرب القيادة الشرقية في ذلك الوقت بعدما أراه يمسك التليفون ويقول أمامك خمس دقائق .. وتبدأ مشكلة أخرى ..

من أجل املاء رسائلي لابد من ضوء .. والضوء محظور ..

واقترح « آمال » أن أجلس تحت المكتب وأمامي علبة من الثقاب وهو يغطي خلف المكتب بسترته ، وهكذا حتى انتهى من مكالمتي ..

ليلة لن انساها

في هذه الليلة بالذات .. ليلة أول نوفمبر ..

كانت الخطة العدوانية كلها قد تكشفت .. الغارات مستمرة علينا هنا في الاسماعيلية وفي أبي صوير ..

وحاولت الذهاب للاسماعيلية ..

وأخذت عربة من الزقازيق .. ومعنى أخذت عربة فليس المعنى السهل الذى يتصوره القارىء .. جميع العربات موقوفة على الاعمال الحربية .. والقطارات معطلة .. والطائرات الانجليزية والفرنسية لاتنقطع .. فمعنى أن أجد عربة فثقوا أن مدير الشرقية وحكمدارها ورجال القيادة الشرقية قد ساعدونى على ايجاد عربة يقبل سائقها أن يغامر معى .. ويذهب الى الاسماعيلية ..

ومضيت مع السائق فى حديث عن مصر .. عن كفاح هذه المنطقة حتى وصلنا أبو صوير .. كانت الساعة الرابعة والنصف مساء .. وفجأة وبلا مقدمات .. كان الطريق كله يشتعل ..

وجدنا أربع عربات تحترق .. ومن فوقنا أكثر من عشرين طائرة تقذف قنابلها بلا رحمة على كل سيارة تمر .. حتى الشجر الأخضر على جانبى الطريق استحال لونه الى لهب .. فقد كان هو الآخر يشتعل .. ووجدت سائق العربة يقفز من مكانه .. ويجرى الى الحقل .. وأنا معه ..

ومكثنا هكذا منذ الساعة الرابعة والنصف حتى الصباح .. فى العراء .. ومن فوقنا الموت يبحث عنا كل ساعة .. وكان بجانبى .. فى خص استطاع أن يأوينا ، ثلاثة جنود استطاعت الطائرات أن تحرق عربتهم وهى فى طريقها من الاسماعيلية الى القاهرة .. الأول حاولت أن أحدثه فكان ينظر الى ولا يجيب وأخبرنى زميلاه أن أصوات القنابل أخذت منه سمعه .

كانت الطائرات تحلق على ارتفاع منخفض جدا ، وكانت تبحث فى الطريق عن عربات الجيش أو أية عربات .. واستمرت هذه الليلة الرهيبة حتى الصباح ..

ولم أستطع دخول الاسماعيلية ٠٠ فعـــدت الى الزقازيق وطلبت الجريدة ٠٠

كان الوقت مساء ٠٠

ابتدأت الحالة تزداد حدة ٠٠ وأنا أجلس مع اليوزباشي آمال جاءت القاهرة ٠٠ وجلست تحت المكتب ٠٠ وبينما أناأتحدث الى الجريدة شعرت بحركة غير عادية٠٠ ناس يروحون ويجيئون ورأيت آمال يتحدث فى جدية ٠٠ أيوه يافندم ٠٠ محــدش يخش الأوضة أبدا ٠٠ ونادى أحد الجنود وطلب منه عــدم دخول أحد بالمرة ٠٠ ومن تحت المكتب رأيت اللواء على عامر قائد القطاع واللواء محمد هلال مدير الشرقيةوالقائمقام حمدى عبيد وضباطا كثيرين قد عقدوا مؤتمرا عســكريا ٠٠ وأصبحت فى مأزق ٠٠ وأنا اتخفى اذا بهم يحســون بى ٠٠ فوقفـــوا جميعا ٠٠ وصاح أحد الضباط مين هنـــــاك ٠٠ ورأيت آمال يشرح لهم الموقف صحفى يعمل ٠٠ وخرجت من تحت المكتب بعد أن انتهيت من مهمتى وأمليت جميع ماحصلت عليه من أنباء وضحك القائمقام حمدى عبيد وهو يقول ٠٠ نعذرك لان المساء وضحك ٠٠ مساء المعركة ٠٠ وكانت هــذه تحيتنا جميعا ٠٠ وكانوا جميعا يؤمنون بالدور الذى تقوم به المساء ٠٠ كل ثلاث ساعات طبعة تحمل أدق أنباء المعركة ٠٠ لهذا أطلقوا على جريدة المساء « مساء المعركة » ٠٠ وكانت المساء حتى ذلك الوقت الجريدة الوحيدة التى أرسلت مندوبيها ليعيشوا مع الفدائيين فى مخابئهم ٠٠ ومع الجنود فى مواقعهم ٠٠ ومــع الناس جميعا وهم يكافحون ٠٠

خطورة الحالة

كانت كل ساعة تأتى بنبأ جديد ٠٠

أعصاب الناس كانت متوترة لدرجة ملحوظة ٠

أنباء بورسعيد ابتدأت تحتل الصدارة •• انتشرت الشائعات في كل مكان •• الصحف كانت لاتصل الى هذه المناطق •• والناس دائما يصدقون الصحف عن أي وسيلة أخرى ••

ومن هنا •• اتجهت النية الى اصدار صحف خاصة تحمل أنباء المعركة وفي القطاع الشرقي صدرت « أخبار القنال » وكان يشرف عليها الاستاذ عبد العزيز السيد المراقب العام لمنطقة الزقازيق التعليمية •• وكانت تحمل دائما أنباء المعارك •• وأنباء بورسعيد والغارات العنيفة التي تعرضت لهـا مـدن القنال •• وكانت القيادة قد انتقلت الى الزقازيق وكانت أنباء وصول قوات المظلات هي شغل الناس الشاغل •• وفي العادة كانت الطائرات الفرنسية والانجليزية أثناء غاراتها تقوم بالقاء فوانيس مضيئة كي تكشف لها المكان الذي تريد ضربه بالقنابل •• وبمجرد رؤية هذه الفوانيس المضيئة كان الناس يحسبونها قوات مظلات هابطة في الجو ••

وفي ليلة كنت في ديوان مديرية الشرقية •• وكنا نجلس على دكة خشبية : مأمور البندر •• وعامل التليفون وعدد من الضباط ورجال الدفاع المدني •• والليلة بالضبط كانت ليـلة أول نوفمبر ••

في هذه الليلة تلقى بندر الزقازيق ٤٦ بلاغا عن هبوط رجال المظلات في مناطق « تل بسطا » والصالحية وجميع قرى الشرقية وخرجت قوات الفدائيين والجيش والبوليس واتضح أن جميع هذه البلاغات •• كاذبة ••

قطع العلاقات

وفي الصباح •• صباح أول نوفمبر اتخذت الحكومة المصرية اجراء حازما اذ قطعت جميع العلاقات السياسية مع كل من

فرنسا وانجلترا وأعلنت أنها تدرس مسألة الانسحاب من الامم المتحدة بعد أن اتضح فشلها وأنه لايرجى منها أية فائدة ازاء مطامع الدول الاستعمارية الكبرى ..

وفى هذا اليوم اشتدت وطأة الغارات وقامت الطائرات الفرنسية والانجليزية بمهاجمة جميع المطارات المصرية فى أبو صوير .. وبلبيس وأيقن العدو أن خطته قد فشلت فى استدراج الجيش المصرى الى العراء ..الى سيناء لتحطيم مقوماته ومعنوياته .. كما فشل العدو فى ارهاب الشعب المصرى بالغارات المستمرة بل أيقن أن هذا العدوان لم يزده الا التفافا وراء حكومته التى صمدت بشجاعة أمام دولتين من أقوى الدول .. الشىء الوحيد الذى نجح فيه العدو هو أن جعل لمصر عددا كبيرا جدا من الاصدقاء فى جميع أنحاء العالم .. الذين يكرهون الحرب ويحبون السلام ..

قرار الأمم المتحدة

وفى اليوم التالى .. فى الساعة العاشرة من صباح ٢ نوفمبر على وجه التحديد وافقت الامم المتحدة بعد توتر الحالة وبعد الحملة التى شنتها مصر ونددت بهذا الاعتداء الغاشم على أراضيها وافقت الامم المتحدة بعد هذا كله على وقف القتال فورا وعلى الأطراف المشتركة فيه أن توقف جميع التحركات العسكرية وطالبت الامم المتحدة بسحب القوات الى ماوراء خطوط الهدنة ووقف القيام بغارات عبر هذه الخطوط فى أراضى الدول المجاورة ..

فى الوقت الذى صدر فيه هذا القرار كانت المدن المصرية قد تعرضت فى نفس اليوم الى ٤٢ غارة مستمرة .. كانت القنابل

تلقى بلا رحمة ولا هوادة على السكان المدنيين المطمئنين ...
وكان نتيجة لذلك أن أغرقت القنابل البريطانية الفرنسية سفينة مصرية فى بوغاز القناة وغرقت السفينة وأقفل البوغاز

ولم يكتف العدو بهذا الارهاب بل قام بضرب محطة الاذاعة المصرية وتعطلت الاذاعة فى الوقت الذى اشتدت فيه وطأة الغارات ليلا ونهارا على مدن القنال والقاهرة بالذات.. العملية اذن كانت لارهاب الشعب المصرى ودفعه دفعا الى الثورة على حكومة جمال عبد الناصر .. وفى سبيل ذلك عمد العدو الى كافة الطرق ولكنه بهذا العدوان أفسح صدور المصريين والعرب جميعا لكراهية أبدية لهم ولاعوانهم ..

فى بورسعيد

والآن وقد كنا بالاسماعيلية ..المكان الوسط بين بورسعيد والسويس كى نواصل فيه تطور المعركة التاريخية الكبرى .. تعرضت بورسعيد منذ الساعة السادسة صباح اليوم لغارات مستمرة ..

استمرات الغارات حتى الساعة الخامسة مساء ..

وتوالت أنباء قسوة الغارات على بورسعيد فى الوقت الذى كانت فيه القيادة الانجليزية الفرنسية قررت غزو السويس بحرا الا أنها فشلت فشلا ذريعا .. واتخذ الاستعمار بورسعيد هدفا يشن عليه هجومه بعنف وبلا توقف .

وكان هذا اليوم .. يوم ٢ نوفمبر من الايام العصيبة التى مرت ببورسعيد .. وكان الضرب مركزا بشدة على حدود بورسعيد .. فى مطار الجميل .. عند مداخل البلد .. حتى حى المناخ ..

وفى هـذا اليوم وردت اشـارة الى كل من مأمور قسم ثانى بورسعيد الذى يشرف على الحى العربى ٠٠ والى مأمور قسم ثالث ـ الذى يشرف على أحياء المناخ والأبوطى والجميـل تقول هذه الاشارة أنها تتوقع وصول قوات غزو برية وبحرية كما أن العدو قد يعمد الى الهبوط بالمظلات ٠٠ وطلبت هـذه الاشارة ضرورة الاستعداد وعمل اللازم ٠٠ وعلى الفور قسمت البلد الى مناطق ٠٠ مثلا قسم ثان قسم الى ثمانى مناطق فى كل منطقة قوة بوليسية وقوة جيش وقوة من أعضـاء المقاومـة الشعبية ٠٠

ووزعت الاسلحة على كل قادر على حمل السلاح ٠٠ وابتدأت بورسعيد رجالا ونساء بل وحتى الاطفال أخذوا يسـتعدون لخوض أكبر معركة أمام دولتين كبيرتين ٠٠ وفى هذه الاثنـاء كانت بورسعيد قد تسلحت تماما ٠٠ المدافع فى كل مكان ٠٠ الجميع فى يقظة تامة استعدادا لصد أى هجوم يقع على المدينـة مهما كان الثمن ٠٠

قرار وقف اطلاق النار

وفى نفس اليوم ٢ نوفمبر ٠٠ فى الوقت الذى كان فيـه شعب بورسعيد يسـتعد لخـوض المعـركة كانت الطائرات الانجليزية الفرنسية تركز هجومها على المدينة حتى تبث الرعب فى قلوب الاهالى ٠٠

واجتمعت الجمعية العموميـة فى الأمم المتحـدة فى السـاعة العاشرة والنصف وأصدرت قـرارا بوقف القتـال فورا بين الاطراف المشتركة فيه وتوقف تحركات القوات العسـكرية كما طالبت الامم المتحدة بسحب القوات خلف خطوط الهـدنة ووقف القيام بغارات عبر هذه الحدود ٠٠

لحظات الحياة

لحظات رهيبة تجسم فيها كفاح رائع مرير فى اصرار لا حد له يرتسم فى وضوح على كل وجه فى بورسعيد ·· والاسماعيلية ·· كان الناس جميعا لاينامون الا وسلاحهم فى أيديهم وكأنهم قد أحسوا بأن العالم كله ينظر اليهم ·· بل وان جميع الشعوب التى تكافح فى سبيل حريتهم تنظر اليهم بلهفة لترى نتيجة هذا الصراع بين الشعوب الحرة ·· وبين الاستعمار وكان الجحيم الذى يهبط على الناس من السماء ·· جحيما مستمرا لا يوصف كان هذا الجحيم سببا لايقاظ القوى الكامنة فى قلب هذا الشعب ·· منذ الساعة الخامسة بدأ نظام حظر التجول وكانت الغارات الجوية تبدأ دائما مع شروق الشمس على صوت القتال ولا تنتهى الا مع الغروب ، كل هذا لبث الرعب والهلع فى القلوب ·· لا اضاءة ·· لامواصلات ·· لا اذاعة ·· لاصحف ·· لاشىء اطلاقا كان يربط مدن القنال ببقية القطر فى هذه الظروف ··

وكنا نعيش فى الاسماعيلية ·· ندبر أمرنا حتى الساعة الخامسة ·· وعند الغروب لاتجد الا السلاح ·· السلاح يلمع بالليل وكل خطوة تخطوها تأتيك صرخة تقول : قف ·· من أنت ·· فتقف وتقول كلمة السر ·· وتمر ··

كل شىء قد أعد باحكام للصمود أمام العدو ·· وكانت الشائعات تسرى بسرعة من أن العدو سيحتل هذه المدن ·· ومضيت فى طريقى ·· ودخلت مكتب الاميرالاى عبد الله غبارة الحاكم العسكرى للمدينة وكان يجلس معه مأمورا قسم أول وثان والبكباشى عبد الهادى نجم الدين والصاغ أبو الفضل الجيزاوى ومجموعة ضخمة من الضباط ·· وتمددت على كرسى

طويل وطلبت منه أن أكلم القاهرة ·· وكان طلبى هـذا مجرد وسيلة تذرعت بها لحضـور اجتماعاتهم ، لأعرف من وجودى بينهم من ثنـايا حديثهم أى شيء عن هـذا الاجتمـاع · وكان موليه قد صرح بأنه تم لقواته احتلال بور سعيد والاسماعيلية أيضا ·· تصوروا واستمعنا من اذاعة احـدى الدول لتصريح موليـيـه ·· وقال لى الأميرالاى غبارة ·· مالك ؟ قلت مولييـه بيقول انه احتل الاسماعيلية ·· ماهش بور سعيد بس ·· ونظر الى ثم انفجر فى ضحـكة حلوة عذبة ومال بكرسـيه الى الى الخلف ·· وانتهزت الفرصة لاحمله على الـكلام وقلت ·· ما رأيك ·· فقال والغضب يتطاير من عينيه كأنه بارود قاتل · **ان أية طائرة تحاول أن تحلق فوق الاسماعيلية سـيكون ذلك معنـاه نهايتها** ·· انظر الى الشـوارع ·· ونظرت من نافذة غرفتـه ·· وعلى البيانات الموضوعة أمام الضبـاط ·· ثم خرجت مهرولا الى عمارة ايليو ·· وجدت الصـاغ كمال الدين حسـين قائد جيش التحرير وقد خلع ملابسـه المدنيـة ·· وارتدى « أفر أول » عاديا جدا ومعه جميع موظفى وزارته ·· ومع كل واحد سـلاحه ثم ·· سـمعت قائـد جيش التحرير يقول ·· هو حسين فين ·· وجاءه الرد ·· **فوق يبحث بعض مناطق العمال ·· والمفهوم طبعا أنه البكباشى حسين الشافعى** ·

وفى الطريق وأنا عائد الى المحافظة وجدت فى كل شـبر خندقا وفى كل خندق أبطالا ·· وبين كل خندق وخنـدق مدفع مضاد للطائرات ·· متى حدث هذا كله ·· فى ٢٤ ساعة

وعدت وأنا ألهث الى الاميرالاى غبارة ·· ومرة ثانيـة قال ·· **ان أية طائرة ستحلق فوق الاسماعيلية لن تعود** ··

وفى هذه الأثناء أطلقت صفارات الانذار ··

وأمسكت أنفاسى وأنا أسمع ٠٠ كانت البلدة كلها كأنها أتون مشتعل ٠٠ طلقات المدافع اختلطت بأصوات القنابل بأزيز الطائرات المحمومة التى حاولت أن تلقى قنابلها على المدينة التى خرج سكانها بأسرهم يدافعون باصرار عن بلدهم ٠٠ ثلاث ساعات متتالية ونحن نجلس فى غرفة الحاكم العسكرى وبعدها كانت النتيجة ٠٠ سقوط سبع طائرات من عشر طائرات حاولت الاغارة على الاسماعيلية فلقيت مصرعها هناك ٠٠ بعيدا ٠٠ تحت الشمس المتوهجة ٠٠ والرمال الصفراء فى الضفة الشرقية لقنالنا الحبيب !

بدء الغزو

وابتدأ العدو يفقد صوابه ٠٠

ابتدأت أعماله تزداد عنفا وشدة ٠٠ غارات مستمرة على بورسعيد ٠٠ وفى نفس اللحظة التى كانت بورسعيد تتعرض فيها لاعنف هجوم بدأ منذ مساء يوم ٢ نوفمبر كان الفدائيون العرب يهاجمون مقر قيادة العدو فى قبرص ٠ وقام هؤلاء الفدائيون بأعنف عمل فدائى حينما نسفوا منشآت السكة الحديد فى اسرائيل ٠٠ وتظاهر الوطنيون فى قبرص وطالبوا بعدم العدوان على مصر وهاجموا مقر القيادة المشتركة وقذفوها بالقنابل ٠٠

فى نفس الوقت هدد العرب بنسف أنابيب البترول فى الجزيرة العربية واجتمع مجلس الوزراء السورى وأصدر قرارات على جانب كبير من الخطورة أهمها أن وضعت الحكومة السورية قواتها تحت تصرف مصر

وبور سعيد الباسلة تتعرض لأقسى هجوم يمكن أن تتعرض له مدينة يعيش شعبها فى سلام ٠٠ لم تكن معقلا حربيا ولم تكن هدفا عسكريا ولكن كل ما هنالك أنها فى مدخل القناة ٠

الموت بجناحية البغيضتين يرفرف على المدينة المسكينة وأهلها الشجعان صنعوا من دمائهم ·· ومن شهدائهم سدا منيعا ·· من فولاذ ·· من حديد ··ليمنعوا تسرب الاستعمار الى داخل القطر ··

وكنا نعيش هنا ·· فى الاسماعيلية نحاول أن ندخل بورسعيد ولكن اشتداد الغارات على المدينة منعنا من الدخول وأصبح صباح ٣ نوفمبر ··

كان يوما كريها ولكنه في الوقت نفسه يذكرنا دائما بأروع قصة للبطولة قصة من الممكن أن تروى للاجيال كلها كدليل حى ·· على قوة شعبنا ·· بل لعل هذا اليوم هو الدفعة الوطنية الكبرى التى هزت جميع الاحرار فى بلاد العالم وجعلتهم يؤمنون بالدليل المادى الملموس ـ بأن الشعوب لا تقهر ·· مهما كانت قوة السلاح ·· ومهما كانت قوة أدوات التدمير ·· بدأ اليوم هكذا ··

الطائرات تحجب أشعة الشمس ·· والقنابل تلقى دون وازع من أى احساس انسانى ·· والموت يتربص لكل من يخرج من بيته ·· أسراب من الطائرات ·· طائرات حلف الأطلنطى التى أعدت للحرب ضد روسيا ·· أسلحة التدمير التى يحاول بها المعسكر الغربى أن يضرب المعسكر الشرقى ·· خرجت هذه الأسلحة كلها مرة واحدة تصب الموت على بورسعيد ··

وفى قوة ·· وفى عزم ·· قوة الحياة ·· وعزم الرجال لم يستسلم رجال بورسعيد أبدا ·· بل انضموا فى شرف الرجال الى قواتهم المسلحة والى جنود البوليس يحاولون فى استماتة لم يشهد لها التاريخ مثيلا أن يصدوا هذا العدوان ··

شيء رائع حقا أن نشهد رجلا من الشارع وجنديا من الجيش وجنديا من رجال البوليس قد التقت أهدافهم جميعا نحو أمثل غاية ‥ نحو شرف الجهاد عن الوطن ‥ عن المدينة ‥ عن المنزل ‥ هكذا كانت بورسعيد ‥ الناس لا يتحدثون ‥ نظراتهم مصوبة الى الطائرات ‥ والاسلحة فى أيديهم تنطق بصدق عن قوى الايمان فى قلوبهم

كان العدو يأمل أن تستطيع قواته ابادة بورسعيد فى ليلة ولكن الذى حدث أن عادت الطائرات ‥ ما بقى منها سليما ‥ عاد يروى قصة الاستبسال الرائع فى سبيل الحرية ‥ واشتد الضرب على منطقة الجميل والأبوطى ‥ وكانت قوات المصريين كلها منتشرة فى حى المناخ تفعل المعجزات من أعمال البطولة . ترك الجميع منازلهم ‥ نساءهم ‥ أطفالهم ‥ بلا طعام ‥ بلا نوم ‥ والظلام يحيط بهم من كل جانب ‥ لقد كانت البلدة فى ظلام دامس ‥ لا تسمع الا همس الذين يحملون السلاح منع التموين من دخول البلدة ‥ ومع اشتداد وطأة الغارات كان الناس فى المدينة يحسون بالمسئولية الملقاة على عاتقهم ‥ كانوا متأكدين أن أنظار الاحرار فى جميع أنحاء العالم كله متجهة اليهم ‥ لذلك ‥ كانوا يؤدون مايمكن للحر الأبى أن يقوم به فى مثل هذه الاحوال ‥ وتصوروا أن الحرائق التى حدثت من جراء القنابل الحارقة استمرت ٢٤ ساعة ابتداء من يوم ٢ حتى يوم ٣ ‥ كان ضابط المطافىء الصاغ على ابراهيم الشامى ينام فى مكتبه ويأكل وهو سائر فى الطريق ‥

وفى يوم ٣ ذلك اليوم الذى اشتدت فيه عمليات الغزو اشتعلت منطقة الجميل وذهب رجال المطافىء ليحولوا دون انتشار النيران ورأتهم طائرات العدو وأنزلت على الذين يكافحون النيران قنابل لا حصر لها بل وحينما عمدوا الى الهرب طاردتهم الطائرات مسافة ١٢ كيلو مترا ‥

في هذه اللحظات ٠٠ والموت أمامهم من كل جانب ٠٠ كيف كان يعيش الناس هناك ٠٠ تصوروا أنتم ومهما ذهب خيالكم فلن تصلوا الى حقيقة أحاسيس الناس ٠٠ هنا فى بور سعيد.

كانوا يقاتلون بصورة لم يسبق لها مثيل ٠٠ قتال رائع لم يجدوا بدا من خوض غماره ٠٠ مهما كان الثمن ٠٠ أطفالهم تصرخ تطلب الطعام ، نساؤهم تصرخ خوفا من العدو الذى يظهر شبحه كل لحظة ٠٠ ماذا كان عليهم أن يفعلوا ٠٠ لا سبيل الا المقاومة ٠٠ وهناك شيء أكثر روعة هو ذلك الايمان العميق بالتطور التاريخى الذى أحدثته ثورة مصر جعلتهم يؤمنون بالهدف الذى يقاتلون من أجله ٠٠ يقاتلون رغم الجوع ٠٠ ويقاتلون رغم الاسقف المنهارة والدماء التى تسيل أمامهم ٠٠ يتساقطون من الأرض ومن السماء كل شخص قد احتفظ فى منزله بكمية من الاطعمة المحفوظة والخبز مكتفين مدة لا يدرون أستطول أو تقصر فالذين لديهم نظر بعيد جعلوها تكفى عشرة أيام والجميع قدروا أن الحصار المضروب عليهم لن يتجاوز أسبوعا بأى حال من الأحوال ٠٠

واستيقظت البلدة على صباح رهيب ٠٠

صباح الاثنين ٤/١١ قطع كل اتصال عن بور سعيد نتيجة للغارات الشديدة على المدينة ٠٠ الا وسيلة واحدة لم يكن يعلم بها العدو ٠٠ وسيلة رائعة كان يقوم بها أبطال يتعرضون للموت كل دقيقة ومع ذلك كانوا يصلون الى بورسعيد ومعهم كميات ضخمة هائلة من الأسلحة والعتاد الحربى وفوق ذلك ٠٠ الرجال . كان المهم ألا تنفد الأسلحة من يد الذين يحاربون فى بورسعيد ٠٠ كان أهم شيء توافر الأسلحة ٠٠ لضمان استمرار القتال ٠٠ وفى الوقت الذى كان فيه الجيش والشعب والبوليس فى بورسعيد يحققون معجزات أذهلت العدو كانت

مصر تكافح في دوائر الأمم المتحدة .. فاقترحت الهند في الجمعية العامة أن تدعو الأمم المتحدة كلا من انجلترا وفرنسا واسرائيل الى وقف القتال الذى يدور فى مصر خلال ١٢ ساعة وافقت الجمعية العامة بأغلبية ٥٩ صوتا ومعارضة ٥ وامتناع ١٢ دولة عن التصويت ونص الاقتراح الذى فاز بهذه الأغلبية على وقف القتال وسحب القوات الأجنبية من الأراضى المصرية على أن يبلغ همرشولد الجمعية العامة نتيجة تنفيذ هذا القرار فى مدة أقصاها ١٢ ساعة ..

فى نفس اللحظة التى حققت مصر فيها هذا النصر قامت مصر باسقاط مدمرة فرنسية قرب شاطىء البرلس كانت تحاول الدخول الى المياه المصرية وتم اغراقها ..

والناس هناك فى بورسعيد يكافحون ويصبرون على الكفاح رغم كل العوامل التى كانت فى يد العدو .. وابتدأ العدو يطيش صوابه امام هذه المقاومة الباسلة .. ايدن يعلن فى مجلس العموم أن قواته احتلت بورسعيد .. وموليه فى باريس يقف شامخا ويعلن فى كذب وافتراء أن قواته لم تحتل بور سعيد فقط .. بل استولت أيضا على الاسماعيلية .. يحدث هذا كله والعدو يجد مصرعه فى بور سعيد ولا تتقدم قواته خطوة واحدة

وتحرك الأسطول البريطانى والفرنسى تجاه بور سعيد .. ودكت مدافع الأسطول المنازل وهدمتها وهى تحاول انزال دبابات الى المدينة .. هبطت فرقة من جنود المظلات فى الجميل هرع الناس كلهم .. الناس دون استثناء .. الغنى والفقير والعامل وصاحب العمل .. الجندى .. والذى يستعمل السلاح لأول مرة – خرجوا جميعا يضربون للعالم كله فى صدق .. وأمانة أروع أمثلة المقاومة .. وأبيدت الفرقة عن آخرها .. ومرة ثانية حاول العدو انزال فرقة أخرى .. وجدت نفس

المصير الذى لقيته الفرقة الأولى ٠٠ كان أهل بور سعيد يذبحونهم ٠٠ تصوروا ٠٠ لايكتفون بضربهم بالرصاص وهم هابطون من الجو تحميهم الطائرات المقاتلة ٠٠ بل كانوا يذبحونهم ٠٠ حقيقة التقطتها هناك من أفواه أبناء البلد والجزارين الذين يعيشون فى حى المناخ ٠

يوم خالد فى تاريخ بور سعيد ٠٠

الموت يتربص بهم من كل جانب ٠٠ الأسطول فى البحر يدك المنازل دكا ٠٠ ومع ذلك لا تستكين البلد أو تهدأ أبدا ٠٠ الطائرات تحلق حتى حجبت السماء ٠٠ ضربوا وابور المياه ٠٠ وقطعوا المياه عن السكان ٠٠ ضربوا وابور النور حتى يعم الظلام فعلوا المستحيل كى تهدأ هذه المقاومة لحظة واحدة ٠٠ دون جدوى ٠٠ جثث الشهداء فى الشوارع والدماء التى كانت تسيل ، وصرخات الأطفال خوفا من صوت الطائرات ، هذه العومل كلها ألهبت شعور الناس جميعا ، خرجوا ليقاتلوا بصورة هم أنفسهم لا يستطيعون وصفها ٠٠

ومرة واحدة هبطت ثلاث فصائل من جنود المظلات الأولى فى فى مطار الجميل والثانية فى القبوطى والثالثة ــ فرنسية ــ فى الرصوة ٠٠ وفى نفس الوقت مدافع الأسطول لم تسكت دقيقة واحدة وآلاف الطائرات تحلق فى سماء المدينة تحصد بمدافعها ٠٠ الرجال ٠٠ والنساء ٠٠ والاطفال مع كل هذا كانت المقاومة على أشدها ٠٠ وكان هناك عزم باسل عريق على الاستمرار فى هذه المقاومة مهما كان الثمن ٠٠ ومهما كانت النتيجة ٠٠ ان قائد قوات الغزو يقول عن أهل بور سعيد أنهم ليسوا بشرا ٠٠ بل شياطين ٠٠ ماذا يفعل ٠٠ أمر بحرق المدينة وعلى الفور قامت الطائرات برش منطقة الكباين وحى المناخ كله عن آخره بمسحوق أبيض ثم أشعلوا فيها النيران ٠٠

وجاء صباح ١١/٦ والبلدة كلها تشتعل ·· النيران فى كل جانب ·· كل شبر فى المدينة تحيطه النيران ·· والطائرات من فوق النار ترسل رصاصها الى جميع القلوب ·· الرجال والنساء والأطفال ·· ومدافع الأسطول تزأر من البحر فى وحشية قاتلة مخيفة ، تريد أن تقتل هذا الشىء الضخم الهائل الذى لم يتوقعوه ·· تريد أن تقتل « مقاومة بور سعيد » ··

ومع ذلك لم تسكت المقاومة لحظة واحدة ·· لأنها لم تمت ·!

النار فى كل مكان ·· ولا ماء يطفئها ·· وساعدت سرعة الرياح على انتشار النيران وامتدادها الى كل المنازل ·· فى هذه الأثناء استطاعت الدبابات أن تنزل الى المدينة ·· وبخدعة أخرى وضعت على جوانبها الأعلام الروسية وقالوا للناس أنها دبابات من روسيا الصديقة جاءت لحمايتهم ·· وكاد الناس أن يصدقوا هذه الفرية ·· بل صدقوها أول الأمر وكانت الدبابة الأولى فى شارع محمد على حينما أقترب الناس منها أطلقت مدافعها عليهم ·· وعرف أهل بورسعيد الخدعة وانتقلت المعركة الى ميدان آخر ··

معركة المنازل ·· ابتدأوا يحاربون من المنازل ·· ومن شرفاتها وتمكنوا من اسقاط ٢٣ طائرة من التى كانت تحوم فوق منازلهم

وازاء هذا العمل الاجرامى طلبت روسيا من أمريكا أن تتدخلا لصد هذا العدوان الذى يهدد السلام العالمى كله بالخطر ولكن أمريكا رفضت وقررت روسيا أن تعمل وحدها ·· وكان انذار روسيا المعروف ·· وازاء هذا كله ·· ازاء المقاومة الباسلة أولا من أهل بورسعيد وازاء انذار روسيا قبلت انجلترا قرار وقف اطلاق النار ·· بعد أن دخلت قواتها بور سعيد ·· !!

ولكن أهل بور سعيد قرروا طرد العدو من بلدهم ..

ابتدأ الصراع المر بين قوات الاحتلال وأهل بور سعيد ..

لقد نزلوا المدينة فوجدوها خرابا من فعل قنابلهم .. وفى هذا حدثنى أناتول تشيكوف قنصل روسيا فى بور سعيدفقال انه رأى بعينه المعجزات الضخمة التى حققها أهل بور سعيد . كانوايقاتلون بحرارة واستبسال فعلينا أن نحنى رؤوسنا جميعا اعجابا لهذه الومضات المضيئة التى قام بها أهل بورسعيد فأناروا بأعمالهم الطريق أمام جميع الشعوب التى تريد حريتها .. بل وتصنعها بدمائها وشهدائها .. وتحدث القنصل عن العدوان فقـــال ان ألفاظ البربرية القذرة والهمجية والعودة الى القرون الوسطى لا تكفى اطلاقا لوصف الاعمال التى قاموا بها هنا فى بورسعيد كانوا وحوشا ضارية بل أنا أستنكف أن أشرفهم بهذا الوصف

وبمجرد نزول القوات أغلق التجار محالهم وبذل الأعداءما فى وسعهم لحمل هؤلاء التجار على فتح تلك المحال ولكن دون جدوى وألقوا المنشورات يأمرون فيهاأهل بورسعيدأن يكفواعن المقاومة ..وقاموا باعتقال ١٥٠ شخصامن أهل المدينة يوم ٦/ ١١وأخذوا يسألونهم عن كل شىء .. منعوا عنهم الطعام .. وأناموهم فى العراء حتى يرضخوا لأسئلتهم دون جدوى .. كان كل همهم أن يعرفوا من الذى يقود معركة بورسعيد .. من الذى يديرها .. وكانت الاجابة التى أذهلتهم .. أن الشــــعب هو الذى يقودها ..

ومع وجود العدو .. ومع ضربه الحصار الشديد على المدينة لمنع الفدائيــين أو التموين من الوصول لها فقد كانت امدادات الأسلحة تصل كل يوم عن طريق سرى .. وكانت عمليـــات اغتيال الجنود البريطانيين كل يوم تزداد بصورة أذهلت القيادة

الانجليزية والفرنسيـــــة · · وابتـدأ العـــدو يفقد صوابه لأنه وجد آلافا من المنشـورات المضـــادة تقـــول فى صراحة اننا سنقاتلكم وسنجعل حيـــاتكم جحيما لا يطاق ·· وقامت حملات تفتيشية لمعرفة سر هذه المنشـورات ·· من أين تأتى ولكن دون جدوى ·· اعلانات على الحوائط تسبهم وتطلب منهم الانسحاب ·· كانوا يقومون بازالتها ليجدوها فى اليوم التالى كما كانت ·· كانت تكفى صورة للرئيس جمال فى اى منزل حتى يهدم المنزل على من فيه ·· وابتدأت عمليات القرصـــنة المشهـورة والتى يحنقها الانجليز ·· كانوا يفتشـون المنازل بدعوى البحث عن أسلحة ·· ويقتلون الرجال من أهل المنزل ثم ينهبون كل شيء ·· وما يتركونه يحطمونه بأرجلهم ورصاصهم واذا احتجت امرأة أو صرخ طفل يقتل فورا !!!

وكان مع القـــوات المعتـــدية مستر ويليامز · · ومستر ويليامز ضابط بالجيش البريطانى برتبـــة صاغ · · هـــذا الضابط عمل فى بورسعيد منذ بدء الاحتلال لمصر ·· كان خفيرا ثم رقي الى جندى وظل يترقى حتى وصل الى ضابط المخابرات البريطانية المستر ويليامز ·· وهذا الويليامز يعرف كل شخص فى بورسعيد ·· يعرف الرجال ونسـاءهم وأطفالهم ·· كان يمشى فى الشارع دون خريطـة ويذهب الى المنزل ·· ويـدق الباب ·· ويفتح الباب ·· ويطلب من رب الأسرة أن يتبعه · وهكذا كان على رجال المقاومة أن يتخلصوا منه بأى ثمن · جميـــع التجار يعرفهم ·· جميـــع الشبان يعرفهم ·· جميـــع الأمكنة التي يمكن أن تهرب منها الأسلحة يعرفها ·· لا يتكلم الا بالعربية كأنه أحد إبناء البلد على السواء ··

وفى يوم ذهب ويليامز الى مقر قيادة البوليس المصرى ليطلب من مدير مكتب العمل الأستاذ عبد السلام الكردى أن يطلب من

العمال أن يعملوا وقال له مدير المكتب انه لا يستطيع ذلك لأن القانون ٠٠ أى قانون يحرم ارغام العامل على العمل ٠٠ وقال ويليامز ٠٠ طيب ٠٠ أريد أن أجتمع بالعمال ٠٠ عليك تدبير هذا الامر ٠٠ ورفض مدير مكتب العمل محتجا بأنه لا يعرف عناوين العمال ٠٠ فقام ويليامز واستولى على جميع الملفات الموجودة بالمكتب ليبحث فيها عن عناوين العمال ٠٠ ولكن مدير المكتب أفهمه أن يتصل بالمباحث قبل أن يستولى على الملفات ٠٠ واقتنع ويليامز وخرج الى المباحث ٠٠

وأثناء خروجه من المباحث ٠٠ اعترضه صبي صغير ٠٠ صبي فى السابعة عشرة من عمره يركب دراجة ٠٠ وفجأة أخذ الصبي يلعب على دراجته أمام عربة ويليامز ٠٠ وسقط الشاب على الأرض وخيل الى الجميع أن العربة هى التى أصابت الشاب وخرج ويليامز ليرى الحادث ٠٠ وفجأة ٠٠ انطلق الرصاص كالمطر وأحاط بويليامز من كل اتجاه ٠٠

ومنذ هذا التاريخ ٠٠ أصيب ويليامز بساقه ٠٠ وبترت ساقه وغادر بور سعيد ٠٠ ولن ينساها أبدا ٠٠ واستراحت المقاومة من ويليامز ٠٠ !

واشتدت عمليات الاعتقال ٠٠ كان يكفي أن تقول أنك طالب أو مدرس حتى تعتقل فورا وذلك لأن العدو كان يعلم أن جميع المدرسين والطلبة مشتركون فى أعمال المقاومة وأن المدارس كلها تقوم بتدريس التدريبات العسكرية لطلبتها ٠٠ وأخذت النسوة يهربن بأطفالهن من الجحيم الذى أعد لهم ٠٠ فى قوارب من بحيرة المنزلة ٠٠ ومع ذلك مع أن من فى القوارب ليس الا النساء والاطفال فان الابطال المغاوير كانوا يظهرون بطولاتهم فيطلقون عليها الرصاص ٠٠.

ومع هذا ٠٠ مع أقسى عمليات التعسف والارهاب التي شنها العدو في بور سعيد كان الاحرار يعملون في عملياتهم الحربية لتعطيل تقدم العدو وكتابة المنشورات الثورية وتوزيعها على الأهالي لرفع روحهم المعنوية وكتابة منشورات باللغتين الانجليزية والفرنسية لتحطيم معنويات الانجليز والفرنسيين

قوات جديدة

وأصاب اليأس العدو من جعل أهل بورسعيد يرضخون ٠٠ مع التعسف والارهاب الذى شنوه بقسوة ووحشية وبربرية عنيفة لم يفتح التجار محالهم وضربوا عليهم حصارا ٠٠ العمال ٠٠ وقفوا كسد من فولاذ ورفضوا برجولة عدم التعاون معهم مهما كان الامر ولو كلفهم ذلك حياتهم ٠٠ منشورات تنهال عليهم من كل جانب تحمل اللعنة والاحتقار الى قلوبهم ٠٠ على الفور قامت القيادة البريطانية بسحب جنود المظلات وأحلوا محلهم كتائب من المشاة ٠٠ ومع ذلك لم تفتر مقاومة بور سعيد ٠٠ وذهل العدو أمام هذا الاصرار العنيد من أهل بور سعيد ٠٠

كانوا يذيعون أن من تضبط لديه أسلحة يعدم فوزا ٠٠ من توجد بمنزله صورة لجمال عبد لناصر يدك المنزل على من فيه ومع ذلك فقد كانت الأسلحة في كل منزل ٠٠ وصورة جمال عبد الناصر على كل شبر من جدران منازل وخرائب بور سعيد وليس هذا فقط بل أتوا بصورة ايدن ومولية وصنعوا منهما مادة للسخرية كانت تطيش بصواب الانجليز .

وصول البوليس الدولى

وكان من المتفق عليه — كما هو معروف — وصول بوليس دولى يحمى انسحاب القوات المعتدية ويرابط على خطوط الهدنة

وفى يوم ١٣ نوفمبر ذهبت الى أبو صوير لأراقب عملية وصول البوليس الدولى ٠٠ ووصل ثلاثة ضباط هم مساعدو جنرال بيرنز أحدهم سويدى والثانى دانمركى ٠٠ وصل الثلاثة واجتمعوا بالاميرالاى أمين حلمى الثانى الذى صرح بأنه ينظم معهم عمليات وصول البوليس الدولى

واستقبلت مصر بفرحة كبرى أنباء انتصارات شعب بورسعيد التى هزت العالم كله. ٠٠ هزتنا جميعا أنباء فتح مكاتب التطوع فى أنحاء الصين الشعبية كى يقيد أهل الصين أسماءهم للحضور الى مصر للوقوف معها فى قضيتها العادلة ٠٠ وفى نفس الوقت غادر داج همرشولد أمريكا فى طريقه الى القاهرة ليتفق مع المسئولين هنا على بعض التفاصيل خاصة بالبوليس الدولى ٠٠

وفى يوم ١٥/١١/١٩٥٦ وصل الأستاذ خالد محيى الدين رئيس تحرير المساء الى الشرقية ٠٠ ومن الزقازيق خرج ومعه القائمقام حمدى عبيد والبكباشى لطفى واكد ٠٠ والأستاذ الزميل لطفى الخولى ٠٠ خرجنا من الاسماعيلية بعد أن رأينا فيها قائد جيش التحرير الصاغ كمال الدين حسين شعلة من الحماس ٠٠ وكتلة من النشاط الدائب لم يقل شيئا بل قال طوفوا أنتم بالاسماعيلية ٠٠ طوفوا حتى آخر مواقعنا هناك فى القرش على بعد ١٢ كيلو مترا من بور سعيد ستجدون قواتنا المسلحة كما كانت دائما على استعداد لخوض معركة الحرية لآخر رجل وذهبنا الى القرش ورأينا شباب مصر كله قد تجمع بأسلحته الحربية وبايمانه الذى لا يفتر ٠٠ تجمع اتحاد تاريخى كله تفتح له أنصع الصفحات ليسجل فيها انتصاره الخالد ٠٠ كانوا فى الحق يمثلون أصدق تمثيل مصر الحديثة التى تناضل باصرار فى سبيل حريتها ٠٠

يوم لا ننسـاه أبدا .. ذلك هـو يوم زيارتنـا للخطـوط الأماميـة ـ خرجت طائرة استكشاف انجليزية من الكاب مقر القيادة الانجليزية ولم تكن تبعد عنا سوى كيلو متر واحد .. خرجت الطائرة تستكشف مواقعنا .. وقال قائد القرش وهو يضحك .. انهم دائما يفعلون ذلك بل اننا نخيفهم بشيء بسيط جدا نشعل نارا سرعان ما تخرج الطائرة من وكرها .. وكانت أوامر الامم المتحدة تقضي بايقاف اطلاق النـار ومـع ذلك فان الضابط المصرى أرسل اشارة لمراقبى الهدنة وقال لهم بصراحة اذا خرجت هذه الطائرة مرة أخرى وتعـدت حدودها فسنطلق عليها النار فورا .. فلم تعد الطائرة ..

وعدنا من القرش وفى قلوبنا اطمئنان راسخ لسلامتنا .

وفى يوم ١١/١٥ وصلت مطار أبو صوير طلائع البـوليس الدولى وكانت مكونة من ١٩٣ نرويجيا وقال قائدهم الميجـور فيك سيجور بأنه سيعسكر هنا الى حين وصول بقيـة البوليس الدولى فيغادرها الى بور سـعيد .. وتجمعت قـوات البوليس الدولى حتى وصلت الى العدد المطلوب يوم ١٩٥٦/١١/٢٠.

الى بورسـعيد

وتقرر سفر ١٩٣ جنديا نرويجيا الى بورسعيد .. وحاولنا نحن الصحفيين أن ندخل معهم الى المدينة الا أن القوات المعتدية رفضت ذلك وأنزلتنا عند البلاح ..

وعسكر البوليس الدولى أول الامر فى شريط ضيق عنـد مدخل بور سعيد .. وابتدأت القوات المعتدية فى الانسحـاب انسحبت أولى كتائبهم يوم ٢٣ انسحبت ومعها عددمن الاجانب الانجليز والفرنسيين الذين كانوا يقيمون فى بورسـعيد

وتعاونوا مع قوات العدو معاونة جعلت أهالى بور سعيد يقفون لهم بالمرصاد ٠٠ وخشوا مغبة الجريمة التى ارتكبوها فى حق البلدة الوادعة التى آوتهم وأكرمتهم فرحلوا الى غير رجعة مع قوات الاستعمار ٠٠

فى هذه الأثناء غادر همرشولد أمريكا فى طريقه الى مصر وقال قبل سفره بأن مهمته فى القطر المصرى هى المساعدة على تحديد وضع القوات الدولية واستمرار عمل هذه القوة مع مصر

الى بورسعيد

كل ما نريده هو أن نذهب الى بور سعيد ٠٠ أن نعيش فيها لنشهد انتصارنا ٠٠ نشهد مجدنا ٠٠ حاولنا ذلك مرارا ٠٠ وكان هناك طريق واحد يمكن بواسطته أن نصل بور سعيد ٠٠

وقررنا أن نسافر الى المطرية ، ومن هناك نفعل أى شىء ندخل به بور سعيد ٠٠ وصباح اليوم التالى نشرت احدى الصحف الصباحية صورتين لمندوبيها فى ملابس الصيادين ، وقالت الجريدة انهما دخلا بور سعيد بهذه الطريقة ، وعرف العدو هذا الطريق وحاصره ٠ ٠ وكان هذاالعمل عملا صبيانيا حقا من الصحيفة ٠٠ وكم من أعمال صبيانية ارتكبت فى نزق وطيش نبهت العدو لبعض الحيل التى يلجأ اليها الصحفيون ٠٠ ولكنها كانت جميعا تجىء عفو الخاطر لا مقصد من ورائها الا أن يكسب الصحفى منهم لونا من الفخر أمام مواطنيه ٠٠ !!

وهكذا أغلق الطريق الوحيد الذى كان من الممكن أن يوصلنا الى بور سعيد ٠٠ وفى مكتب البكباشى ضياء بيبرس قائد سلاح الحدود بالقنطرة ٠ ٠ قال الرجل : ان المغامرة عن طريق المطرية تعنى الموت ٠٠ ومع ذلك فلدى فكرة أخرى ٠٠ وأغلقنا

الابواب .. ومنـع أى شـخص من دخول حجرته .. وأتى بخريطة كبيرة ، وتحدث عن فكرته ثلاث ساعات .. ولم يكن أمامنا سوى قبولها ..

أتينا بعربة جيب ودليل ومضينا فى طريق شـاق حتى بالوظة ، ومنها اتجهنا شرقا فى سيناء حتى رأينا بور سعيد

كان بيننا وبين بور فؤاد ثلاثة كيلو مترات لاغير وبعدها ندخل الضاحية الجميلة ونتسلل الى بور سعيد ..

وتعرضنا أثناء هذه المغامرة لقسوة الطبيعة ورداءة المواصلات واتضح لنا أن الدليل الذى يرافقنا لا يعرف شيئا عن هـذا الطريق ، وكنا قد تركنا ملابسنا بالاسماعيلية واستبدلناها بملابس للصيادين .. وفجأة وجدنا داورية من الجنود الفرنسيين على مسافة كيلو متر واحد .. اذا تفرقنا .. فسنقتل فورا .. ماذا نفعل .. مضينا على شاطىء البحر الابيض بحذر شـديد ونور الفجر أخذ يتسلل رويدا رويدا ..

وبعد قليل أصبح الشاطىء كله مكشـوفا .. زحفنـا على بطوننا مسافة كيلو متر وبعدها .. أخذنا العربة الجيب وعدنا الى الاسماعيلية .. !

واجتمعنا فى الاسماعيلية .. وكانت أنبـاء وصول البوليس المصرى الذى سيذهب الى بورسعيد قد ترامت الينا .. وفعـلا وصل الفوج الأول من البوليس المصرى الذى تقرر سـفره الى بورسعيد ..

محاولة اخرى

ورميت نفسى على أحد المقاعد بمكتب البكباشى عبـد الهادى نجم الدين قائد فرق الأمن بالاسماعيليـة والذى تنزل قـوات

بور سعيد ضيوفا عليه وبمجرد رؤيتى ضحك وهو يقـــول .. قديمة .. !

قلت له وأنا أتصنع الجد : ايه هوه اللى قديمة ... أنا عايز أعمل تحقيق صحفى عن البوليس الذى سيسافر الى بور سعيد قال وقد ازدادت الابتسامة على شفتيه .. لأ .. موش ممكن .

قلت له لماذا ؟ !

قال .. فى منتهى الخطورة ثم نتيجة ذلك لا يعلم مداها أحد . ودعك طبعا من حكاية التحقيق .. أنا فاهم كل حاجة .. عايز تلبس عسكرى بوليس وتسافر بور سعيد ..

ورغم ذلك حاولنا .. ولـكن اتضح أن البـوليس الدولى فى القنطرة غير الســائق المصرى بسائق كنـدى واستلموا جنـود البوليس بعد التأكد من شخصياتهم جميعا ..

ومرة عاشرة على ما أذكر عدنا من القنطرة الى الاسماعيلية .

مؤتمر صحفى

ولعل أغرب المؤتمرات الصحفية تلك التى قمنا نحن بعملها . فقد اجتمعنا نحن الصحفيين بالاسماعيلية وعقدنا مؤتمرا صحفيا لأنفسنا .. كيف ندخل بور سعيد ..

واستقر الرأى بعد الصراخ والضجيج أن نذهب الى البـلاح ونقابل جنرال بيرنز ونعتصم بالبلاح حتى ندخل بور سعيد .

وفى هذه الأثناء ــ وكنا على ما أذكر يوم ١٥/١٢/١٩٥٧ ــ وصلت بعثة من مصلحة الاستعلامات وبها عدد كبير من المراسلين الأجانب فى طريقهم الى بور سعيد .. وذهبنا جميعا مع بعثـة الاستعلامات الى البلاح .. وكان ذلك أول الطريق الى بورسعيد

خرج كنج جوردون المستشــار الصـحفى لبيرنز وفى الوقت نفسه مدير مكتب الاســتعلامات الأمريكى بالقاهرة وقــال بأن

الجنرال بيرنز اتصل بالقيادة المشتركة للعدو ليحصـل لنا على التصريح اللازم بالدخول ·· وجاء رد القيادة برفض دخـول الصحفيين ··

وعلمنـا بأن بيرنز صرح لعشرة من الصحفيـين الأجانب بالدخول ·· ثرنا جميعا على هـذا الوضع وصممنا اما أن ندخل جميعا أو لا ندخل جميعا وقلنا لجوردون هـذا الكلام فقـال بأنه سيحاول غدا مرة أخرى ··

وعدنا الى الاسماعيلية ··
وعادت بعثة الاستعلامات الى القاهرة

وذهبنا فى اليوم التالى الى البلاج ومن هناك علمنا بأنه يمكننا دخول بور سعيد والعودة فى نفس اليوم ما دمنا نحمل بطاقات البوليس الدولى ·· وذهبنا الى بور سعيد ··

وفى الطريق الى المدينة الخالدة كان معى فى نفس العربة مراسل ايطالى جعل يتحـدث تارة بالانجليزية وتارة بالفرنسيـة عن بور سعيد ·· قال انه لا يصدق أن يصمد شعب بور سـعيد بالصورة التى رسمتها الصحافة المصرية ·· وحاولت جاهـدا اقناعه الا أنه قال بأننا سنرى سويا بور سعيد وبعدها سيقول لى رأيه ·

كان كل منا يعيش فى مشاعره الخاصة التى تهزه هزا ، مزيج غريب من صحفيين أتوا من بلاد صديقة ·· من الصين الشعبية من يوغوسـلافيا ·· من الهنـد ·· من روسـيا ·· من الدول العربية ·· ثم صحفيين أتوا من أمريكا ومن دول أخرى كثيرة ومضينا فى طريق جبلى ·· قناة السويس عن يسارنا وحشائش

برية على الجانبين والمياه ‥ مياه صافية تمضى فى هدوء واستسلام ورياح خفيفة تسرى فى هدوء ‥ وسرحت بأنظارى ‥ بعد لحظات سأكون فى بلدى ‥ فى وطنى ‥ فى بور سعيد ‥ وفجأة صاح صائح ‥ قف ‥ ووقفنا ‥

نحن الآن فى مدخل بور سعيد ‥

قائد انجليزى ‥ وقائد فرنسى يقفان على المداخل ‥ وتأكدا من شخصية الصحفيين فدخلنا جميعا ‥

دخلنا الأرض المقدسة ‥ الأرض الطاهرة ‥ الأرض التى حمت قضية الحرية فى العالم كله ‥ دخلنا بور سعيد ‥ ورأيت أهلى ‥ وأبى وأمى ‥ رأيت فرحة أهل بور سعيد ناطقة حية قوية كالحياة خرجت تستقبلنا ‥ انهمرت الدموع من أعيننا جميعا وكل واحد منا قد احتضن مجموعة من شعب بور سعيد ‥ كنا لا نتحدث ‥ بل كان يكفى أن تنظر الى هؤلاء الناس ‥ أن تمتع ناظريك بالنظر اليهم ‥ حماسة لا حد لها ‥ واقترب منى رجل عجوز شامخ الى السماء كأنه جبل ‥ وقال وهو يهمس فى أذنى ‥ وانت راجع مصر ابقى سلم لى على كل اللى فى مصر ‥ انتو وحشتونا خالص ‥

الى القيادة

وشاهد الصحفيون الأجانب هذا الاستقبال ‥ وعلا صوت كتنج جوردون ‥ لا يسمح للصحفيين بالسير على الأقدام كل مجموعة فى سيارة وتشاهد البلد حتى الساعة الثالثة ظهرا ونعود الى القاهرة . وثرنا على هذا الوضع وأخيرا سمح لنا بالمرور على الأقدام على ألا نتخلف عن الساعة الثالثة مساء ‥

وقلت للصحفى الايطالى الذى كان معى بالعربة هل شاهدت آثار العدوان وهل شاهدت شعب بور سـعيد ٠٠ ولم ينطق بحرف ٠٠ ونظرت اليه فوجدت دموعا غزيرة تنهمر من عينيـه وقال بصوت مبحوح ان كل وصف لتدمير بور سـعيد ومقاومة شعبها الباسل لم يات بربع الحقيقة ٠٠

زوغان ٠٠!

وجاءت الساعة الثالثة ٠٠ الموعد الذى يجب فيـه أن تعود الى القاهرة ٠٠

وزغنا من البعثة الصحفية ٠٠ ومكثنا فى بور سعيد ٠٠

ناس كرماء جدا ٠٠ هم أهل بور سعيد ٠٠ وكانوا يتحدثون فى بساطة كأنهم لم يفعلوا شيئا مجيدا ٠٠ وكانوا يتحدثون عن كفاحهم ٠٠ وعن صبرهم ٠٠ وعن جهادهم المر ضـد قـوات غاشمة ويقو لقائل ٠٠ لكن اداناهم حتة علقة سخنة أول امبارح وقصة هذه العلقة التى أقضت مضاجع البريطانيين حدثت يوم ١٥/١٢/١٩٥٦ يوم تسلل أفراد كتيبة الصاعقة وكلهم من رجال الجيش الى بور سعيد وقاموا بأكبر هجوم على قوات العدو ٠٠ وكبدوهم خسائر فى الأرواح لا حد لها ٠٠ وهال الانجليز هذا الأمر فحاصروا منطقة قسم ثان كلها وقبضوا على أكثر من ١٥٠٠ شخص أودعوا السجون والمعتقلات التى أنشأوها ليعرفوا منهم سر هذا الهجوم المفاجىء فى الوقت الذى يستعدون فيه للانسحاب من بور سعيد ٠٠

ومضت الليلة الأولى نسمع فيها هذه القصص ونشهد مأتم الاستعمار الذى أقامه شعب بور سـعيد ٠٠ قصص الأطفـال الذين كانوا يخطفون الأسلحة من الجنود ٠٠ والكماين التى كان

ينصبها الناس لاصطياد الجنود واغتيالهم . وقصصا أكثر روعة من الصبر على الجوع الذى سلطه الاعداء على شعب بورسعيد .

وضع عجيب

وكانت بور سعيد عجيبة حقا ..

بها قوات مصرية وقوات انجليزية وقوات فرنسية وبوليس دولى ..

وكانت مقسمة الى مناطق ..

الحى العربى وبه أقسام المناخ وثانى وبه البوليس المصرى .

الحى الافرنجى وبه البوليس المصرى .

شريط الميناء وبه القوات الانجليزية ..

بور فؤاد وفيها القوات الفرنسية .

وكان المرور فى أحد هذه الأحياء يقتضى تصريحا وكانت القيادة الانجليزية تقوم بختم المصريين الذين يقطنون فى منطقة الميناء بختم حتى يمنعوا تسرب أحد من غير السكان الى منطقتهم .. كما كانت القيادة الفرنسية تقوم بهذا الاجراء بالنسبة لبور فؤاد . وكان حظر التجول ابتداء من الساعة الخامسة مساء الى الساعة السادسة صباح غد .. ومع ذلك كان السكان الذين يقطنون فى الحى العربى لا يأبهون لذلك فكانوا يمضون فى الطريق حتى العاشرة ليلا ..

ورغم الحصار الشديد الذى كان الانجليز والفرنسيون يضربونه فان أعمال الفدائيين فى بورسعيد لم تتوقف لحظة واحدة

وأعمال المقاطعة ما زالت قائمة على قدم وساق ووقف التجـــار والعمال وقفة رائعة مشرفة أمام قوات العدو وصمدوا للضغط والحصار والجوع بصورة كفاحية ليس لها مثيل ..

ومضينا فى الطريق .. طرقات بور سعيد .. فى كل شارع بل فى كل منزل قصــة خالدة من قصص البطـولة .. هنـا فى شارع محمد على استشهد السيد عبد الله الشهـير بشعبان يوم تعرض لدبابة بريطانية اسـتطاع أن يقتل بهـــا ثلاثة انجليز واستشهد .. وهنا فى نفس الشارع السيد عبد المسيح جلاب رجل بسيط جدا .. سباك فى جمرك بور سعيد والده عجـوز أعمى لا عائل له سوى ابنه .. تزوج حديثا وأنجب طفلة .. وترك عبد المسيح كل شىء .. واستشهد فى سبيل وطنه ..
ونمضى فى الطرقات نسمع آيات البطولة .. من جنـود .. من الناس الذين عاشوا فى المعركة .. من الصبر الذى احتملوه كنا فى المدينة طعامنا لا شىء سوى الخبز والبطاطس . والسجائر كانت السيجارة بقرش صاغ ومن أصناف لا نعرفها اطلاقا ومع ذلك كان أهل بور سـعيد يقولون دى نعمة الحالة دلوقت .. كان الأول .. لا أكل .. ولا شرب .. ولا نور ولا ميــه .. وتسأل .. كان فيه ايه .. ويجيبك شخص عجوز ذو لحيـــة طويلة بقوله .. **كان فيه صبر وايمـــان يا بنى وده كفاية ..**
ومن قصص البطولة الشعبية النادرة التى تهز المشاعر قصــة الشهيد محمد المرشــدى كان سائق لنش بشركة لاجرس .. استشهد وهو يكافح .. يضرب الانجليز فى منطقة الجميل .. ويقود أحد اللنشات ليذهب بالنساء والأطفال بعيدا عن النار عن الجحيم .. الى المطرية ..

ونمضى فى شـارع عبادى لتسمع عن شـهداء .. محمد يسرى حسن ابراهيم السيد مجاهد .. نجار .. والحلاق أحمد محمد

شيخون ٠٠ والسـيد عبـد الحافظ عبـد الله فاكهى ٠٠ كلهم استشهـدوا فى هـذا الطريق وهم يقفـون كالجبـال فى طريق الدبابات ٠

وتمضى الى حى المناخ ٠٠ وتشهد التدمير الذى حل بالحى ٠ ٠ وفوق الأطـلال تقف عجـوز تقص فى روعة قصص على محمـد الصواف الجزمجى ٠٠ وكمال محمود محمدالترزى ٠٠ وعلىابراهيم البراوى صاحب مخبز ٠ تقول العجوز أنهؤلاء استشهدوا أمام عينيها وهم يقاومون وهم يصنعون حرية بلادهم ٠٠

ولعل أشد قصص الاستشهاد روعة ما حدث فى شارعالعزبة والغورى ٠٠ فقد خرج السيد صبيح من منزلهبعد الحريق وأخذ معه أبناءه الثلاثة العربى وسنه ست سنوات ورضـا وسنـه ٤ سنوات وضحية ثلاث سنوات ٠٠ وكان مـع الرجل شـومة يضرب بها العدو ٠٠ واغتاظ العدو فصوب سلاحه الى الأطفال الثلاثة الذين استشهدوا أمام والدهم ٠٠ ومع ذلك لم يسقط السلاح من يد والدهم بل ظل يضرب ٠٠ ويضرب ٠٠

وجنود بوليس ٠٠ وجنود جيش ٠٠ مقاومة عنيفة صنعهـا أهل بور سعيد ٠٠

والمنازل

ومضينا بين الأنقاض نمر فى المنازل ونشهد آثار العدو ٠ ٠ فى جميع الأحياء بلا اسـتثناء ما من منزل الا ونهب وسرق ٠ ٠ والشيء الذى يبقى يحطمونه أثاث لا حصر له محطم والثلاجات تضرب بالرصاص حتى تصبح لا تصلح لشيء والملابس تمزق ٠٠ كل شيء على العموم كان الاستعماريون اما أن يسلبوه أو يحطموه

لم يتركوا شيئا ·· وبالرغم من كل هـذا فان الشعب يقف فى يقظة دائمة لهم ··

وكانت المدينـة مقفلة من جميـع النواحى ·· كيف يمكن لصحفى يجمع الأنباء أن يرسلها الى جريدته ··

كنا نتحايل على ذلك بشتى الطرق فكنا نأخذ ترخيصا نذهب به الى القنطرة حيث نملى رسائلنا بالتليفون من هناك ونعود الى بورسعيد ··

وكان أهم شىء ·· هو متى ينسحب العدو ·· ؟!

كل دقيقة خبر جديد ·· محافظ المدينة فى اجتمـاع مستمر مع ستكويل قائد القوات المعتدية ·· والناس من خلال هـذه الاجتماعات تحدد موعد الانسحاب ·· هذه الليلة ·· ونصحو لنجد القوات المعتدية ما زالت فى المدينة ·

يوم الانسحاب

وقال لى الأستاذ محمد رياض محافظ المدينـة ان الانسـحاب مرهون بشرط · هو وصول القطار الذى يقل الأسرى الانجليز الذين كانوا يعملون فى قاعدة القنـاة وبمجرد وصولهم سـيتم الانسحاب ·· وربما يصلون غدا ··

وجاء الغد ١٢/٢١ وتمت معه عملية تبادل الأسرى فى البلاح · وجاء بيرنز ·· وكانت البشائر كلها تدل على الانسحاب اليوم مظاهرات الفرح والبهجـة فى كل مكان ·· ولم يترك شـعب بور سعيد العدو ينسحب دون عمل شىء ·· فأغاروا عليهم رغم الاحتياطات الشديدة مساء ١٩٥٦/١٢/٢١

وفى نفس اليوم ذهبت للعشاء عند الأستاذ عبد السلام الكردى مدير مكتب العمل ببور سعيد ٠٠

كان يقطن فى الحى الافرنجي ٠٠ قبل المنطقة الموجود بها الأعداء مباشرة ٠٠ وذهبت اليه فى الساعة الرابعة ووجدت أن البوليس الدولى يقوم بتسوير المنطقة كلها من شارع صفية زغلول الى شارع ٢٣ يوليو حتى تنتهى عند منطقة تجمع الانجليز على الميناء ٠٠ وعلى كل ناصية خمسة من جنود البوليس الدولى وبعد كل مائة متر مجموعة أخرى ٠٠

ومرة ثانية نزلت الى الطريق وحاولت الخروج فقال جندى سويدى ان الخروج من هذه المنطقة ممنوع ٠ !

ممنوع حتى متى ٠٠ قال ٠٠ حتى الخامسة مساء اليو التالى

اذن فالانجليز ينسحبون الآن ٠٠ وهم بهذا الاجراء انما يحتمون بالبوليس الدولى من هجمات الفدائيين على مؤخرتهم ٠٠

ولكن لا بد من طريقة للوصول خارج منطقة الحصار لأن هذا الخبر بالنسبة للصحفى من أهم الأنباء ٠٠ خبر انسحاب القوات المعتدية وهزيمتها ٠٠ وحاولت أن أخرج دون جدوى ٠٠ ذهبت الى قائد القوة اللفتنانت ايك لنت السويدى فهز رأسه أسفا وقال فى الصباح يمكنك أن تأخذ تصريحا وتخرج ٠٠ بشرط عدم العودة ثانية ٠٠

وكان صوت الطائرات يصم الآذان ٠٠ آلاف من الطائرات تحلق على ارتفاع منخفض بينما مراكب الانسحاب واقفة فى الميناء ٠٠ وجدت بعض الزملاء خارج المنطقة جاءوا يشهدون ما حدث ولم يسمح لهم بالدخول ٠٠ كنا ثلاثة فقط الذين جئنا قبل أن يسور البوليس الدولى المكان ٠٠ طاهر أبو زيد وحسن

شمس وأنا •• واستطاع طاهر أن يدخل فى زى رجل اسعاف وجلسنا نحن الثلاثة تدبر ماذا نفعل هذا يريد الاتصال بالاذاعة وأنا أريد الاتصال بالمسا ••

والمهم أننا أمضينا الليل كله ساهرين على سطح أقرب عمارة الى الميناء نشهد هذه العملية •• عملية الانسحاب ••

وفى الصباح خرجت أنا وحسن شمس •• وفعلنا المستحيل حتى سمح لنا بالخروج مع العودة •• وانطلقنا بعربة الى الاسماعيلية ووصلناها الساعة الثانية عشرة والنصف ••

ومن مكتب الأميرالاى غبارة تحدثنا مع الاذاعة ومع المساء عن أهم خبر •• عن انسحاب القوات المعتدية ••

ونهض الاميرالاى غيارة وعانقنا واكراما لنا لأننا كنا أول من أبلغه بهذا النبأ •• شربنا على حسابه الخاص •• شايا بالنعناع شاى ولأول مرة تناولنا طعاما فى الاسماعيلية •• فمنذ عشرة أيام ونحن فى بور سعيد نعيش على لا شىء •• وانطلقنا مرة أخرى الى بور سعيد •

مظاهرات فى كل مكان •• أصوا ت الطائرات لا تهدأ لحظة واحدة •• الناس هزهم النصر •• نصرهم الذى صنعوه حتى أجبروا قوات غاشمة أن تترك بلدهم •• وانسحب العدو مقهورا فى هذا اليوم ••

وخلصت بور سعيد لأهلها ••

وتبسلم البوليس المصرى المدينة من البوليس الدولى ••

ثانى يوم

وفى اليوم التالى للانسحاب أمر المحافظ بعدم دخول أحـــد المدينة حتى يفرغ من عمليات حصر الخســائر ٠٠ وكان فى كل منزل فرح ٠٠ وفى كل قلب أمل كبير فى الغد المشرق الباسم ٠ لقد رأينا بأعيننا وشاهدنا كيف كافح أهل بورسعيد ٠٠ وماذا كانت نتيجة كفاحهم ٠كانت انتصارا للحرية وهزيمةللاستعمار مظاهرات رائعة لا توصف بهجتها ٠٠ ومضت مظاهرة منالنساء أمهات وزوجات الشهداء الذين استشهد أزواجهن أو آباؤهن أو أبناؤهن فى المعركة ٠٠ مضت المظاهرة تؤكد فى حقيقــة أن الشعوب لا تستعبد بسهولة كالتى قدرها ايدن المجنون ومولية الرقيع ٠٠

وكنت فى هذه الأثناء أذهب يوميا الى القنطرة لأوافى جريدتنا بالأنباء وفى اليوم الثالث للانسحاب مباشرة وعلى مدخلالمدينة شاهدت الأستاذ خالد محيى الدين رئيس التحرير والأســتاذ مصطفى بهجت بدوى مدير ادارة المساء والاستاذجمال أبوعميرة مدير مكتب المساء ببور سعيد ٠٠ ورأى شعب بورسعيد رئيس التحرير والتقى الجميع كأحلى ما يكون اللقاء ٠٠ أخوة فى الكفاح وأخوة فى الجهاد ٠٠ وأخوة على الحق ٠٠ وكانت مظاهرة أخرى اشترك فيها محافظ المدينة وشعب بور سعيد لتحيــة جريدة المساء فى شخص رئيس تحريرها ومدير ادارتها ٠٠

ومضت الأيام تؤكد انتصار الشعوب ٠٠

وانسحب البوليس الدولى ٠٠ وخلصت بور سعيد بكفاحها ودماء شهدائها لأبنائها ٠٠

رحيل الطاغية

وانعقد كفاح الأحرار .. وخرجت جحافل المعتـــدين تجر أذيال الغـار وهى تنسحب من بور سـعيد . تتلفت وراءها خشية أن يغرقها فى البحر الجبابرة الذين سقوهم الموت «بالجملة» على أرض بور سعيد ..

وبهذا تغير الموقف السياسى كله وانقلبت موازينه لا فى مصر وحدها . . بل وفى الدولة العجـوز التى حاولت أن تتصـابى والتى كانت تحـكم مستعمراتها بطرف اصبعهـا . . انجلترا الفانية .

وكان انتصار مصر الساحق سببا فى هزيمة الحكومة البريطانية وسببا فى الوقت نفســه دفع الى شن حملة عداء وكراهيـــة من الأحرار فى جميع أنحاء العالم ضد الطاغية .. السفاك .. شارب الدماء .. « المدعو أنطونى ايدن » !

وفى مجلس العموم البريطانى واجــه « المخبــول البريطانى أعنف حملة سياسية من ممثلى الشعب الذى غرر به ومناه بأرباح طائلة سوف تتدفق عليه ، فسوف تفتح عليه خزائن ذهب العالم بنجاح الحملة على بور سـعيد ، فاذا الحملة تبوء بالفشـل واذا النصر يتبدل هزيمة واذا الغنم ينقلب خسرانا .. فانهالت على الخاسر المنهزم الأسئلة عن حقيقة العدوان .. ومقدار ما تكلفت حملة الغزو ثم وما هى الأسباب التى أدت الى فشل هذه الحملة بعد تحميل الخزانة الخربة فوق طاقتها ..

وثار أصحاب المصــانع فى لانكشـير لتوقف مصـانعهم عن الانتاج وذلك لأن مصر حرمتها من التمتع بمزايا قطنهـا العظيم

الذى أنشئت المصانع مؤسسة على صناعته دون غيره فهو منها بثابة البنزين من الطائرة لا يمكن أن تحلق فى الفضـاء الا بنوع معين منه ، والا ·· فمكانها فوق الرغام ·· فالقطن المصرى هو الروح من جسد مصانع لانكشير ·· الأمر الذى اضطر المصانع ـ التى لاتملك مخزونا منه ـ الى اغلاقأبوابها ، وتسريح عمالها ، ومعنى ذلك انتشــار البطالة ·· ومعنى البطالة الجـوع أو على الأقل انخفاض مستوى المعيشــة لعائلات عديدة ، ومعنى ذلك أيضا تحمل الخزانة البريطانية معونة هؤلاء العمال المتعطلين ·· والخزانة خاوية ·· وثار العمال فى وجه الطاغيــة الذى أدت به أحلامه التى لم تكن أكثر من أحلام صـيف الى خراب بيوتهم وتجويع أولادهم وتعذيب نسائهم ·· ثاروا على السـفاك ·· ونددوا فى كل مكان بشارب الدماء ·· خريج جاميكا ··!

واضطر رجل الشارع البريطانى أن يضاعف من تقشفه ·· وشعر السادة بالحاجة الماسـة الى البترول ·· الذى يأتيهم من شريان الحياة بالنسبة للجزر البريطانية ، بل بالنسـبة لغرب أوروبا كله ·· ذلك الشريان الذى ينحصر فى قنال السويس ، ولم يكن البنزين هو الشىء الوحيد الذى أصيبوا بالحرمان منه بل هناك أشــياء أخرى أصبحت لا ترد اليهم ·· وجاع رجل الشارع البريطانى وهو لا يجد حاجته من الطعام والشراب ·· الأمر الذى اضـطر حكومة الضليـل ايدن أن تفرض نظـــام البطاقات ·· ومعنى ذلك أن كل بريطانى لا بد وأن يخفض من مستوى معيشتــه ·· واضطرت العائلات الانجليزية والأطفال الى أن تقنع بأقل من القليل من ضروريات الحيـاة التى أصبحت لا ترد لانجلترا لا لعسر مالى ·· ولا لانعدام هـذه السلع ·· ولكنها بعيــدة عنهـا وطريق القنـاة مغلق ·· معطل من جراء الاعتداء البريطانى على مصر ·

وثار رجل الشارع يطلب الغذاء ·· والبنزين والدفء ·· وكل هذا تمنعه عنه قناة السويس ·· فالموقد بالبترول والطعام بالبترول ·· والسير بالمواد البترولية ·· والنور ·· وكل شيء فكان من حق دافعي الضرائب أن يثوروا على السفاك الذى أراد أن يسفك دماء المصريين فاذا رصاصاته الطائشة ترتد الى صدور افراد شعبه فتوشك أن تقضى عليهم ·· ترتد الى صدور البريطانيين ·· ولكن بصورة لم يقدر بشاعتها ايدن ·· ترتد الى صدورهم مغلفة بقسوة الجوع والحرمان وشراسة البرد وقلة التدفئة ··

بريطانيا فقط

ولم يجد السفاك شارب الدماء شيئا يفعله ·· أحرار العالم كله ضده بعد فعلته المقيتة الشنعاء فى بور سعيد ، فقد أصبح بين شعوب العالم الحر موصوما بالوحشية ، فلم يجد للعجوز المتصابية مخرجا أمام الحاح الجماهير ورجل الشارع واضراب العمال وتوقف مصانع الغزل وزيادة عبء الضرائب ·· لم يجد أمام ذلك كله الا أن يتوارى خجلا ، ويعمل بيده على انهاء حياته السياسية ·· وأن ينتحر اجتماعيا ·· فاستقال !!

واسدل عليه ستار المسرح السياسى بعد ان مثل أشنع دور هزلى قام به رئيس وزراء فى بريطانيا ·· ذلك الدور الذى كانت نتيجته أن فقدت بريطانيا عظمتها ونزلت من مصاف الدول العظمى ·· الى مصاف اسرائيل وما أشبه ذلك وانتصرت مصر انتصارا ساحقا ·· اذ استطاعت بعد تحررها بأربعة اشهر أن تنزع عن وجه العجوز نقابها الذى كانت تستتر به ضعفها المتناهى · · فأصبحت بفضل مصر · · بل بفضل مدينة صغيرة من مدن مصر · بريطانيا فقط ··

فلقد كان سقوط ايدن هذا السقوط الذليل دليلا ماديا ملموسا على تحول ميزان السياسة العالمية واثباتا لايقبل الشك أو الجدل أن الشعوب الواعية لا تقهر بسهولة ·· بل لابد لها مع استبسالها فى الكفاح من أن تنتصر ··

الغاء الاتفاقية

ماذا كانت نتيجة معركة بور سعيد ··

لعل أهم نتيجة لهذه المعركة الخالدة هى الضربة القاصمة التى وجهت للاستعمار ·· اذ قامت الحكومة مباشرة بالغاء اتفاقية ١٩٥٤ لأن بريطانيا بعدوانها الاستعمارى قد أثبتت أنها غير أهل لأن يعقد معها أى اتفاق ·· وأكدت معركة بور سعيد أن الاستعمار غريزة فى دمائها القذرة ·· وهكذا قامت حكومة الرئيس جمال عبد الناصر ومن خلفها شعب مصر كله · بالغاء هذه الاتفاقية ··

وبعد هذا كله ·· بعد معركة بور سعيد وبعد ذلك النصر المؤزر الذى حققته حكومة الثورة وشعب بور سعيد ·· اتجهت الحكومة الى اسرائيل ···

··· ان شراذم جيوشها فى العريش تساندها بريطانيا ··· وفرنسا ··· وأمريكا ··· ان لصوص الحشرة ينشرون الذعر والموت والخراب والسلب والنهب فى غزة وفى خان يونس ·· وكان لابد لهؤلاء من أن ينسحبوا وهم يعرفون أنه لا بد لهم من أن ينسحبوا ·· ولهذا أخذوا يماطلون لاستغلال فرصة السلب ·· الذى يمارسونه على نطاق واسع والنهب الذى يقومون به الى أبعد مدى ··

ومهما قيل عن فظائع القرون الوسطى فلا يمكن أن تقارن اطلاقا بما فعله جنود اسرائيل المستأسدون على العزل من

العجزة والأطفال فى معسكرات اللاجئين فى النصيرات وبقية معسكرات اللاجئين فى غزة ..

لا يمكن أن توصف أعمال السلب والنهب التى قاموا بها فى كل شبر دنسوا بأقدامهم القذرة ثراه ، لايمكن أن توصف بأنها وحشية ، فاننا نربأ بالحيوانات المتوحشة أن نشبهها بهؤلاء السفاحين الفجرة .. مشردى أمم العالم ، ولصوص الخزائن . وتجار الأعراض ..

لا يمكن أن نصف خمسة من الجنود البواسل قد ذهبوا الى معسكر النصيرات وفى احدى الخيم وجدوا شابة لاجئة ترضع طفلها فقتلوا الطفل أمام عينى أمه ، لأنه صرخ فزعا لمرآهم ثم حاولوا فى شجاعة نادرة لا تتأتى لأحد سواهم ، اغتصاب الأم الثكلى وما زال دم وليدها يخضب أيديهم النجسة ودافعت المرأة عن شرفها ببسالة وفى ايمان بحقها أن تحيا شريفة مهما كان الفقر الذى يرفرف على رأسها الشامخ .. لا يمكن اطلاقا أن نصف هذا بالوحشية .. ليس له من وصف الا بالصهيونية

مرحلة جديدة

وابتدأت مصر تجتاز مرحلة كفاح جديدة .. مرحلة ضد اسرائيل والتنديد بأعمالها الوحشية فى قطاع غزة وكل شبر من الارض المقدسة دنسته بأقدامها القذرة ... وبماذا اذن يمكن أن نصف أعمالهم فى خان يونس .. واطلاق الرصاص بالجملة على السكان الوادعين لأنهم رفضوا أن يتعاونوا معهم ، رغم منشوراتهم ورغم أبواق دعاياتهم .. فلما لم يأت هذا كله بفائدة عمدوا الى اعتقال شيوخ المدينة . وجمع شبابها فى معسكرات يسامون فيها أبشع أنواع الخسف والعذاب فمن خلع الأظافر عنوة وفى عنف وقسوة الى الضرب بالسياط على

مواضع حساسة من أجسادهم العارية ·· الى جعلهم يحفرون قبورهم بأيديهم وهم يعلمون أنهم يحفرون هـذه القبور لأنهم بعد ساعة سيكونون فيها جثثا هامدة ·· ويبرون بوعيدهم فيطلقون الرصاص عليهم آخر الأمر ·· ثم يذهبون الى المنازل بعد قتل حماتها والمدافعين عنها وليس فيها الا النساء والأطفال فيستولون على كل شيء ·· المتاع ·· والأثاث وكل ما خف حمله وغلا ثمنه ·· دون أن ينسوا هتك أعراض العذارى ··

وكم شهدت بلدية غزة ومقر الحاكم العام الويلات من ألوان الاضطهاد ·· فاذا جاء يوم وتحدثت فيه هذه الجدران عما دار بينها فلا شك أنها ستقص كيف تحولت هذه الأماكن ذات يوم الى سجون ·· الى معتقلات ·· فاقت معتقلات الفاشية والنازية

ومع ذلك

ورغم هذا كله ·· رغم كل أنواع التعسف والاضطهاد لم تستطع الاستكانة السيطرة على شباب غزة ، بل على العكس· كانت حافزا لهم على المقاومة ، وسرعان ماتكونت الجمعيات وصدرت المنشورات تحث الأهلين على الصبر وعلى الاستبسال فى الكفاح ·· رغم أن عقوبة موزعى المنشورات كانت الاعدام ··

ومع كل هذه المخازى التى ترتكبها اسرائيل فقد راح جنودها يطلقون أراجيفهم التى تشيع أن القطاع سيدول وسيظل تحت الاشراف الاسرائيلى ·· وكافح الشباب هناك هـذه الفرية ، وطبعوا آلاف المنشورات فندوا فيها هـذه المزاعم الصهيونية وطالبوا الأهالى بعدم الاستماع اليها أو تصديقها اذا سمعوها رغم أن وكالة غوث اللاجئين بغزة ، والتى تبعد مهمتها كل البعد عن السياسة ، ابتدأت تروج هـذه الشائعة وتعمل على

ادخالهـا فى الأذهان بل وتسعى لتحقيقهـا بكل ما أوتيت من وسائل ·· بل وجمعت القوات الاسرائيلية أعيان مدينـة غزة وأعضاء بلديتها وأرغمتهم على التوقيع على منشورات بهـــذا المعنى ·· ومع ذلك سار كفاح الأهالى رائعا فى طريقه ·· رغم الآلام التى تعرضوا لها ·· سار هـذا الكفاح يلعن اسرائيل ، ويلعن وجود اسرائيل الذى جر الآلام والنكبات على الانسانية جمعاء فى كافة بقاع الأرض ·

مصر تكافح

وابتـدأت مصر تكافح لتنفـذ قرار الأمم المتحـدة الخـاص بانسحاب قوات اسرائيل الى ما وراء خطوط الهدنة ·· وكانت اسرائيل « الدلوعة » تمعن فى دلالها على العالم ، ذلك لان فرنسا وانجلترا تظاهرانها خفية ، وتمدان بها أيديهما نحو الشرق ·· فما هى الى مخلب قط ·· أو بمعنى يفهمه أبناء الصعيد « قاتل بالأجر » يزهق الأرواح لقاء دراهم معدودات أو لقيمات عفنة ثم خرج أيزنهاور عـــلى العالم بمشروع يقول ، ان فى الشرق الأوسط فراغا يجب أن يملأ ·· ومن الذى يملؤه ·· أمريكا بالطبع لأنها هى التى اكتشفت ذلك الفراغ كما اكتشفها كولومبس وهى تائهة وسط المحيط ، فلا عجب اذا هى تشبهت بالمكتشفين واكتشفت فراغ الشرق الأوسط ، فلقد خرجت انجلترا وفرنسا من بور سعيد ·· وهكذا أصبح الشرق الأوسط فارغا · · فارغ من ماذا ·· من مستعمر يمتص دم أبنائه ·· من مستبد يعرف كيف يهـدم القيم الاخلاقيـة ·· انه فارغ لانه ليس به استعمار ·· كيف يجوز هذا ·· ؟؟

ألا يحتمل أن يرتمى هذا الشرق فى أحضان الشيوعيـة ؟ ! ومن أجل هـذا خرج أيزنهـاور بمشروعه ليحمى الشرق ··

ويدافع عن شرف الشرق ·· ورأسمالية الشرق · لماذا هـذا كله ياعم سام ·· أمن أجل سواد عيون الشرق ··هذه الغيرة

تصوروا أن أيزنهاور كان يظن أن الشعوب العربية ·· وأن القومية العربية من السذاجة والبلاهة والغفلة بحيث تتخلص من استعمار لتذهب بقدميها طائعة مختارة فترتمى تحت اقدام استعمار جديد ·· وهى التى كافحت أجيالا وأجيالا تعرضت خلالها لمئات من المحن ·· كان يظن أيزنهاور فى سذاجة أن القومية العربية ستهرع اليه لتدنس انتفاضتها وتقضى على نفسها بقبولها هذا المشروع الاستعمارى ·· انها عقلية أمريكانى وكفى ··

ورفضت مصر المشروع بطبيعة الحال كما رفضته سوريا والاردن والمملكة العربية السعودية ، أما الشقيقه لبنان فقد وافقت على المشروع يوم اعلانه مباشرة وقبل أن يوافق عليه الكونجرس الأمريكى ···

وابتدأت أمريكا تشد من أزر اليهود ·· وتساوم على قبول مشروعها والا فان اسرائيل لن تنسحب بشراذمها من شرم الشيخ أو من قطاع غزة ·· الا اذا وقع العرب على قبول مشروع الاستعمار الأمريكى ···

وصمدت مصر فى عزم واصرار أمام مؤامرات أمريكا ·· صمدت وأحرار العالم كله معها ، ووقف كريشنا مينون مندوب الهند فى الأمم المتحدة وألب العالم كله على هذه السياسة الحمقاء الخرقاء التى تتبعها اسرائيل ·· ودافع الدكتور محمود فوزى وزير خارجيتنا ببلاغه ، وأحبط كثيرا من المؤامرات فى دوائر الأمم المتحدة وشن حربا شعواء على الاستعمار مما حمل الأمم المتحدة على اصدار قرار بضرورة سرعة انسحاب اسرائيل

والا تعرضت لفرض عقوبات قاسية لا يمكن أن يتحملها وجود اسرائيل الضئيل ..

وابتدأت أمريكا تلعب بورقة أخرى ..

دعت عاهل المملكة السعودية الى بلاد الدولارات والمشروعات الخيالية والدعاية التى لا تستند الا على ما هو كامن فى بطون الشعراء ..

وذهب العاهل السعودى الى أمريكا وقابل أيزنهاور وخرجت من واشنطن أراجيف تقول ان الملك سعود وافق على مشروع أيزنهاور . وأن التكتل العربى أصبح وهما من الأوهام ..

وعاد سعود الى القاهرة .. واجتمع الأربعة الكبار .. « سعود » و « عبد الناصر » و « القوتلى » و « حسين » .. وخرجوا على العالم كله ببيان حازم قاصم .. ان الدول العربية متمسكة بالحياد الايجابى وضرورة طرد اسرائيل من الأراضى المصرية وقطاع غزة ..

وهكذا خسرت أمريكا الورقة الأخيرة ..

وانتصرت القومية العربية ..

وانسحب اليهود من الأراضى المصرية .. ومن قطاع غزة . وانتصر الكفاح الرائع الحر الأبى فى سبيل الحرية والتقدم ونجت مصر من أكبر مؤامرة استعمارية حيكت لكبح جماح نموها وعزتها واستقلالها .. والقضاء على القومية العربية .. ذلك العملاق الضخم الذى أخذ يشق طريقه فى روعة ليحقق الرفاهية والأمن والسلام لشعوبه ..

هل انتهت مؤامرات الاستعمار .. ؟

الحقائق كلها .. تقول لا ..

لن تقف مؤامرات الاستعمار ضدنا ضد القومية العربية .. بل سيحاول الاستعمار أن يفتح ميادين جديدة تنشب فيها معارك يخوضها دفاعا عن وجوده ..

وأما بعد ..

فعلينا نحن العرب أن نكون يقظين دائما ، حريصين على الانتصارات التي حققناها بدمائنا ، وبكفاحنا

علينا أن نكون مستعدين دائما . في كل مدينة . في كل شارع في كل قرية .. في كل بيت .. وأن نتحد على الحق لنحقق الحرية والسلام للشعب العربي الكبير .

وعلينا أن نكافح الأعداء .. أعداء الانسانية .. أعداء الحرية .. أعداء السلام .. نكافح وقوة الحق تساندنا ،والايمان بقوميتنا رائدنا حتى نقضي على الاستعمار .. ومؤامرات الاستعمار .

وعلينا أن نضع يدنا كما قال السيد الرئيس جمال عبد الناصر في يد أصدقائنا .. ونصنع الحرية لأنفسنا بأنفسنا .. ولجميع الشعوب المحبة للسلام ، المتطلعة الى حياة أفضل ..

شفيق خالد

المحرر بجريدة المساء


أفخر سيجارة مصرية
بفم فلتر!
SOUSSA
CIGARETTES
FILTER TIPPED
CAIRO
صوصه
بفم فلتر
١٠ سجاير ٥ قروش - ٢٠ سيجارة ١٠ قروش
إنتاج الشركة الشرقية . شركة مساهمة مصرية . س.ت ٤٨٨٤ جيزة

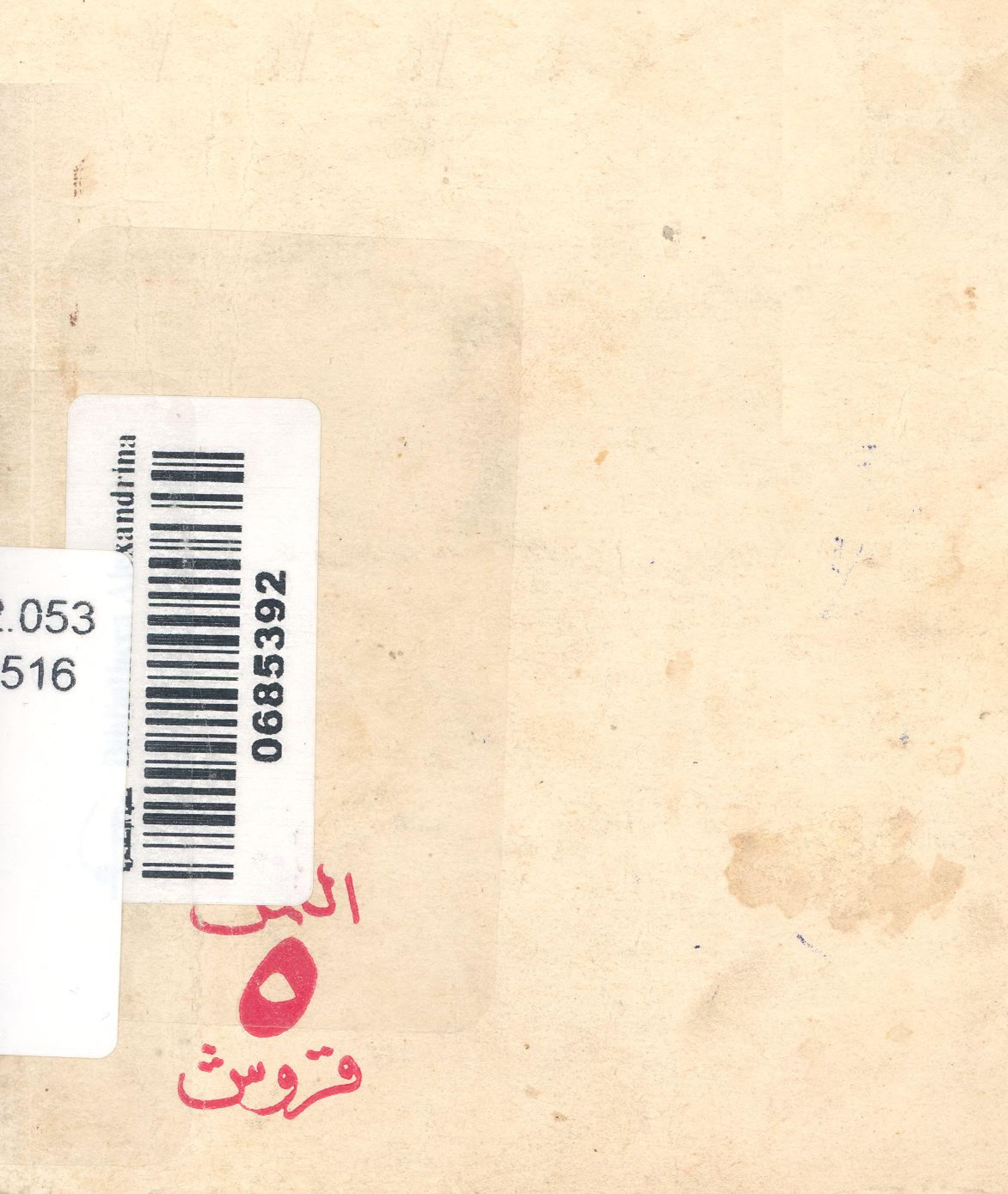
معركة أخرى

منذ أعلن السيد الرئيس جمال عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس عملت انجلترا وفرنسا على محاربة مصر بشتى الوسائل

وكان من نتيجة ذلك أن سحبت فرنسا فنييها الذين كانوا يعملون فى شركة الأعمال الكبرى بمرسيليا وهى الشركة التى تقوم بتنفيذ مشروع كهربة خزان أسوان الذى سيعود على البلاد بالخير العميم آملين بذلك أن يوقفوا الانتفاضة القومية والثورة الصناعية التى قامت فى البلاد وكانوا يعتقدون أن مصر ليس فيها من الكفايات المصرية من يقومون بأعمالهم ويسدون الفراغ الذى يتركونه فجأة وبدون سابق انذار .. ولكن خاب ظنهم ففى نفس اليوم الذى ترك فيه الفنيون الفرنسيون وعملاؤهم الذين كانوا موزعين على المكتب الرئيسى بباريس وفى القاهرة وفى أسوان أعمالهم وعادوا الى بلادهم رغم أنهم كانوا يشغلون الوظائف الفنية والحسابية الدقيقة فان العمل لم يتوقف لحظة واحدة بل سرعان ما حل مكانهم مصريون أكفاء عملوا وكافحوا وما زالوا يعملون باستبسال رائع لتحقيق هذه الغاية ..

وقد صرح المهندس ابراهيم زكى الحارس على الشركة بأن العمل الذى كان يقوم به مكتب باريس وزع بين مكتبى القاهرة وأسوان وأن الشركة انتدبت مجموعة من أكفا موظفى الحكومة من المهندسين ورجال الحسابات والادارة يقومون بالعمل خير قيام . وان العمل يسير فى أسوان على قدم وساق لانجاز هذا المشروع الحيوى لرفاهية مصر ومجدها تحت قيادة الرئيس جمال عبد الناصر ..

طبع بمطابع "المساء"
١١ شارع الصحافة


xandrina
0685392
.053
516
الثمن
٥
قروش